سلسلة تصحيح المعتقد (١٧)

مِصْرُ كِنَانَةُ اللَّهِ

بين محبَّة الأوطان وجماعة الإخوان

صَنَّفَهُ

أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ

عِيدُ بْنُ أَبِي السَّعُودِ الْكَيَّالُ

مَكْتَبَةُ الْكَيَّالِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد للَّه ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلَّا على الظالمين، وأشهد أنْ لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، ﷺ.

أما بعد: فلقد فطر الربُّ -جلَّ وعلا- المسلمين على محبَّة أوطانهم المسلمة، التي تقام فيها شعائر دينه من الأذان وصلوات الجماعات والجُمُعات والعيدين، والتراويح، ويشهد أهلها بالتوحيد، ويقيمون فيها بقية أركان الإسلام من إيتاء الزكاة وصوم رمضان، وتُشدُّ فيها الرحال كل سنة إلى بيت اللَّه الحرام بين الحج والعمرة، فطرهم على محبة وطنهم هذا جبلَّة وخلقة، لا يشذ عن هذه الطبيعة والجبلة المفطور عليها العالمين، إلا مطموس القلب، مسلوب المشاعر، عري العواطف والأحاسيس، مشوَّه الفكر والمعتقد، يلفظه الناس، وينفر عنه القريب والبعيد.

ولقد امتنَّ الودود الرحيم على المصريين بمصر المباركة المحروسة المحفوظة، وخصَّها بما يزيد حبَّ أهلها لها وارتباطهم بها عن بقية الأقطار والأمصار، إلا ما نصَّ عليه الدليل، كمكة والمدينة حفظهما اللَّه من كل مكر وسوء.

قال ابن الكندي عمر بن محمد بن يوسف المصري من علماء القرن الرابع الهجري، في كتابه: «فضائل مصر المحروسة» (ص٦- ٧، ٩):

«فضَّل اللَّه مصر على سائر البلدان، كما فضَّل بعض الناس على بعض،

والأيام والليالي بعضها على بعض، والفضل على ضربين: في دين أو دنيا أو فيهما جميعًا، وقد فضَّل اللَّه مصر وشهد لها في كتابه بالكرم وعظم المنزلة، وذكرها باسمها وخصها دون غيرها، وكرَّر ذكرها، وأبان فضلها في آيات من القرآن العظيم، تنبِّئ عن مصر وأحوالها، وأحوال الأنبياء بها، والأمم الخالية والملوك الماضية، والآيات البيِّنات، يشهد لها بذلك القرآن؛ وكفى به شهيدًا، ومع ذلك رُوي عن النبي ﷺ في مصر وفي عجمها خاصة، وذِكْرُه لقرابتهم ورحمهم، ومباركته عليهم وعلى بلدهم، وحثِّه على برِّهم، ما لم يُرو عنه في قوم من العجم غيرهم، وقال تعالى حين وصف مصر وما كان فيه آل فرعون من النعمة والملك بما لم يصف به مشرقًا ولا مغربًا ولا سهلًا ولا جبلًا ولا برًّا ولا بحرًا: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٧] فهل يُعلم أنَّ بلدًا من البلدان في جميع أقطار الأرض أثنى عليها الكتاب بمثل هذا الثناء، أو وصفه بمثل هذا الوصف، أو شهد له بالكرم غير مصر؟» اهـ.

وقال جلال الدين السيوطي المصري (ت: ٩١١هـ) في كتابه: «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» (١/ ٨):

«وقال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧] قال الليث بن سعد: هي مصر؛ بارك فيها بالنيل» اهـ.

وقال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٦٠):

«﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ﴾ وضمَّنه: اسكنوا مصر، ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ أي: مما كنتم فيه من الجهد والقحط» اهـ.

قلت: والكلام من يوسف إلى أبيه يعقوب والأسباط، عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

فمصر الوطن، مصر السَّكَن، مصر الأمان في المكان والزَّمن، لا يصدُّ عنها أَلَمٌ، أو ينقص من حبها حَزَنٌ ولا شجن، هي مصر بمُرِّها المعسول، وحُلْوِها المأمول، أحبَّها الإله خالقها، وأوصى بأهلها الرسول، فأُمِّنَتْ لداخِليها وساكنيها، الشاردين منهم والعدول، حفظها الربُّ الكريم المؤمن وعلى شانئها ومبغضها سخطة الإله والرسول؛ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٨]، وإن كانت الآية في الكافرين؛ فإنه بعموم لفظها لا بخصوص سببها، تُنَزَّلُ أيضًا على عصاة المسلمين، ممن اتبع منهم ما أسخط الله، من غير إحباطٍ كُلِّيٍّ للعمل، فاعتبروا يا أولي الألباب والعقول.

فما زال مطموسو القلوب، مشوَّهو المعتقد والفكر، يخرِّبون الأخضر واليابس ويسعون في الأرض فسادًا، مموَّلًا، ممنهجًا، منظَّمًا، مُخطَّطًا، خسيسًا، يساعد في إنشائه ووجوده أعداء اللَّه والرسول والوطن، بالقول والفعل والمال والإعلام، لا يدَّخرون جهدًا في خراب الوطن، منهم الكافرون، ومنهم الخوَّان المسلمون، قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ﴾ [الأنفال: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۖ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ﴾ [آل عمران: ١١٨]. والمعنى: لا يُقَصِّرون في فساد شأنكم كله، ودّوا وأحبوا مشقتكم وخرابكم.

وقال -جل وعلا- على المنافقين: ﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾ [التوبة: ٤٨].

فمِنْ فضل اللَّه وبركته على مصر الوطن المبارك المصون، أنْ جعل لها الريادة والسيادة في المنطقة العربية كلها، ولقد علم الخائنون وأسيادهم، أنَّ هلاك مصر هو هلاك للوطن العربي أجْمع، فسَعَوْا بمخططاتهم العديدة منذ

مئات السنين لسقوطها، فكان آخر مكرهم ثورات الربيع العربي، بل قل: الربيع الماسوني؛ فلقد علم القاصي والداني، والصغير والكبير، بل وباديُ الرأي، ضعيف الفكر، كلهم أدرك الهلاك الشديد الذي حلَّ بالأمة، في سوريا، وكفى به هلاكًا، في ليبيا، وكفى به هلاكًا، في السودان، في اليمن، في كل مكان من الوطن الكبير، وإنما أرادوا مصر أولًا، فقَسَمَ اللَّه ظهورهم، وأكبَّهم على وجوههم، وما زالوا على أمل الخراب، وقد كثر حلفاؤهم من الخوَّان المسلمين، وهم لا يعلمون، أو قُلْ لا يفطنون إلى أنَّ مصرنا وطن مصون، وبلدنا قطر مأمون، قد أمَّنه اللَّه، على أعتابه تكسَّر جبروت أطغى الطغاة على مرِّ العصور والأزمان، التتار المجرمين، ثم من دونهم من العُتاة والجبابرة والأكاسرة، الصليبيين منهم والصهاينة.

وإني في كتابي هذا، أردت تذكرة الغافلين، وتنبيه الطيِّبين بحقيقة الوطن المبارك المصون، والبلد الأمين، في شريعتنا، بأدلة هذا الدين؛ لتطمئن قلوب المسلمين والمصريين؛ بأنَّ اللَّه حافظ لهذا البلد المتين؛ فيرجع الشاردون عن شريعة رب العالمين، إلى حظيرة الجماعة، جماعة المسلمين، أو يستعدُّوا لما يصيبهم من البلاء المبين، ليس رجمًا بالغيب -عياذًا باللَّه- بل فهمًا لسنن اللَّه الكونية في نزول البلايا عند تضييع الديانة، وخيانة الأمانة؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧]. وقال تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]؛ فإنه لا يُفلح الظالمون، ومن أراد خيانة وطنه المسلم أهلكه اللَّه؛ قال اللَّه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

- **خِطَّة البحث:**

ولقد أقمت كتابي هذا على ثلاث لَبِنَات وخاتمة:

اللَّبِنَة الأولى: مصر الوطن المبارك المصون في الكتاب والسنة وعلى ألْسِنَة السلف الكرام.

اللَّبنة الثانية: طاغوتا الجماعات وجبتاهما، والحلف الصهيوأمريكخواني الخئون.

اللَّبنة الثالثة: مشروعية محبَّة الوطن وضوابط ذلك.

أما الخاتمة: ولأفْرِينَّهم بمقالتي فَرْي الأديم بلا سكِّين.

وباللَّه وحده التوفيق والسداد والرشاد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

اللَّبِنَةُ الأولى
«مصر الوطن المبارك المصون في الكتاب والسُّنة وعلى أَلْسِنة السلف الكرام»

لقد أكثر الأئمة المُصَنِّفون الكلام والكتابة عن مصر وتاريخها من المتقدِّمين والمتأخرين، ومن أشمل الكتب في هذا الباب كتاب: حسن المحاضرة، للسيوطي، فقد ذكر فيه أنه وقف على أكثر من سبعة عشر كتابًا في تاريخ مصر، قد دوَّنها في كتابه المذكور، نقل عنها وهذَّبها.

ثم هناك رسالة لطيفة لابن الكندي: فضائل مصر المحروسة، ثم: فضائل مصر وأخبارها وخواصها، لابن زولاق الحسن بن إبراهيم الحسين المصري (ت: ٣٨٧هـ) وقد أكثر السيوطي النقل عنه، وابن زولاق بدوره نقل عن ابن الكندي.

وإنما اكتفيت في كتابي هذا بالتنويه على بعض فضائل مصر -حفظها اللَّه-؛ إذْ ليس الغرض من هذا الكتاب حصر ما ذُكر في فضائل مصر -وهي كثيرة-، بل أَخْذُ قبسٍ ونبذة مختصرة؛ كفصل من فصول هذا الكتاب.

- **أولًا: ذِكرُ مصر في القرآن في أكثر من ثلاثين موضعًا:**

قال السيوطي في حسن المحاضرة (١/ ٥- ١٠):

«ذِكْرُ المواضع التي وقع فيها ذكر مصر في القرآن صريحًا أو كناية:

قال ابن زولاق: ذُكرت مصر في القرآن في ثمانية وعشرين موضعًا.

قلت: بل أكثر من ثلاثين:

قال اللَّه تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١]، وقرئ:

«اهبطوا مصر» بلا تنوين، فعلى هذا هي مصر المعروفة قطعًا[1].

وعلى قراءة التنوين، يُحمل ذلك على الصرف اعتبارًا بالمكان؛ كما هو المقرر في العربية في جميع أسماء البلاد، وأنها تذكر وتؤنث وتُصرف وتُمنع، وقد أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره عن أبي العالية في قوله: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾ قال: يعني مصر فرعون.

وقال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا﴾[2] [يونس: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾[3] [يوسف: ٢١].

● **بيانُ بركة مصر بتشريف الأنبياء لها بالسجود على أرضها واتخاذها مسجدًا، وسكناهم لمصر آمنين:**

(١) قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٤٨):

«وقرأ الحسن وأبَّان بن تَغْلِب وطلحة: (مصر) بترك الصرف، وكذلك هي في مصحف أُبي ابن كعب وقراءة ابن مسعود، وقالوا: هي مصر فرعون.

قال أشهب: قال لي مالك: هي عندي مصر قريتك مسكن فرعون؛ ذكره ابن عطية» اهـ.

(٢) قال القرطبي في تفسيره (٨/ ٢٢٢):

«ومصر في هذه الآية هي الإسكندرية في قول مجاهد، وقال الضحاك: إنه البلد المسمَّى مصر، ومصر ما بين البحر إلى أسوان، والإسكندرية من أرض مصر.

قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ﴾ قال أكثر المفسِّرين: كان بنو إسرائيل لا يصلون إلا في مساجدهم وكنائسهم وكانت ظاهرة، فلما أرسل موسى، أمر فرعونُ بمساجد بني إسرائيل فخُرِّبَتْ كلها ومُنِعُوا من الصلاة؛ فأوحى اللَّه إلى موسى وهارون أن اتخذا وتخيَّرا لبني إسرائيل بيوتًا بمصر، أي: مساجد، ولم يرد المنازل المسكونة؛ هذا قول إبراهيم وابن زيد والربيع وأبي مالك وابن عباس وغيرهم» اهـ.

قلت: وعليه فلقد كرَّم رب العزة -جل وعلا- مصر بأن يصلي على أرضها رسولان وصحابتهما، الكليم وأخوه، فأي منقبة وأيُّ بركة هذه؟!

(٣) قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٣٩):

«يُخبر تعالى بألطافه بيوسف عليه السلام أنه قيَّض له الذي اشتراه من مصر، حتى اعتنى به وأكرمه=

وقال تعالى حكاية عن يوسف -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[1] [يوسف: ٩٩].

وقال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخرف: ٥١]، ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾[2] [القصص: ١٥]، وقال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القصص: ٢٠].

أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن السُّدِّي أنَّ هذه المدينة في هذه الآية مَنْف، وكان فرعون بها.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

أخرج ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في الآية قال: هي مصر، قال: وليس الرُّبا إلا بمصر، والماء حين يُرسل تكون الرُّبا عليها

= وأوصى أهله به وتوسَّم فيه الخير والفلاح، فقال لامرأته: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾» وكان الذي اشتراه من مصر عزيزها وهو الوزير بها، قال العَوْفِيُّ عن ابن عباس وكان اسمه قطفير» اهـ.

(١) **قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٦٠):**

«﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ﴾ وضمَّنه: اسكنوا مصر: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ أي: مما كنتم فيه من الجهد والقحط، ويقال -واللَّه أعلم- أنَّ اللَّه تعالى رفع عن أهل مصر بقية السنين المُجْدبة ببركة قدوم يعقوب عليهم، كما رفع بقية السنين التي دعا بها رسول اللَّه ﷺ على أهل مكة حين قال: «**اللهم أعنِّي عليهم بسبع كسبع يوسف**»، ثم لما تضرعوا إليه واستغفروا لديه وأرسلوا أبا سفيان في ذلك، فدعا لهم، فرُفع عنهم بقية ذلك ببركة دعائه عليه السلام» اهـ. والحديث رواه البخاري في صحيحه (١٠٠٧).

قلت: فلقد سكن يعقوب ويوسف والأسباط عليهم السلام مصر آمنين وسجدوا على أرضها، فأي بركة هذه؟! وكذلك عيسى ابن مريم وأمه كما سيأتي قريبًا.

(٢) **قال القرطبي في تفسيره (١٣/ ١٩٦):** «قال ابن إسحاق: بل المدينة مصر نفسها» اهـ.

القرى، ولولا الرُّبا لغرقت القُرى.

وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن وهب بن مُنبِّه في قوله: ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال: مصر.

وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، أنَّ عيسى كان يرى العجائب في صباه إلهامًا من اللَّه، ففشا ذلك في اليهود، وترعرع عيسى، فهمَّت به بنو إسرائيل، فخافت أمه عليه، فأوحى اللَّه إليها أنْ تنطلق به إلى أرض مصر، فذلك قوله تعالى: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾؛ قال: يعني مصر.

وأخرج ابن عساكر عن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال: هي الإسكندرية.

وقال تعالى حكاية عن يوسف -عليه الصلاة والسلام-: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ أخرج ابن جرير عن ابن زيد في الآية، قال: كان لفرعون خزائن كثيرة بأرض مصر فأسلمها سلطانه إليه.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1] أخرج ابن جرير عن السُّدِّيِّ في الآية قال: استعمله الملك على مصر، وكان صاحب أمرها.

وقال تعالى في أول السورة: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١]، وقال تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ [يوسف: ٨٠] قال ابن جرير: أي: لن أفارق الأرض التي أنا بها -وهي مصر- حتى يأذن لي أبي بالخروج منها.

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٤٠):

«﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: بلاد مصر» اهـ. وكذلك من الآيات التي ذُكرت فيها مصر، قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، وقوله: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢]، وقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٤ - ٦]، وقال تعالى: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ١٩].

وقال تعالى: ﴿لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [غافر: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٧ - ١٢٩] المراد بالأرض في هذه الآيات كلها مصر.

وعن ابن عباس -وقد ذكر مصر- فقال: سُمِّيت مصر بالأرض في عشرة مواضع في القرآن.

قلت: بل في اثني عشر موضعًا أو أكثر.

وقال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧] قال الليث بن سعد: هي مصر، بارك فيها النيل[1].

---

(١) قلت: وهو ظاهر سياق الآيات؛ ويدل عليه آخر الآية، حيث قال تعالى بعدها: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧] فربنا -جل وعلا- أورث ما كان تحت أيدي فرعون وقومه لبني إسرائيل، وأهلك صنيع فرعون وقومه؛ ويؤكد ذلك قوله تعالى وهو يتكلم عن خروج فرعون وراء موسى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٧ - ٥٩] ومثلها من سورة الدخان الآيات: (٢٤ - ٣١) وذلك ما اختاره ابن كثير في تفسيره حيث قال (٣/ ٣٠٤): «أخبر تعالى أنه أوْرث القوم الذين كانوا يُستضعفون -وهم بنو إسرائيل- ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾، كما قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥ - ٦]» اهـ، وفرعون وبنو إسرائيل كانوا يسكنون مصر.

وقال القرطبي في هذه الآية: الظاهر أنَّهم ورثوا أرض القبط، وقيل: هي أرض الشام ومصر؛ قاله ابن إسحاق وقتادة وغيرهما.

وقال تعالى في سورتي الأعراف والشعراء: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١١٠، والشعراء: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ [الأعراف: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٦]، قال الكندي: لا يُعلم بلد من أقطار الأرض أثنى اللَّه عليه في القرآن بمثل هذا الثناء، ولا وصفه بمثل هذا الوصف، ولا شهد له بالكرم غير مصر.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٩٣]، أورده ابن زولاق، وقال القرطبي في تفسيره: أي: منزل صدق محمود مختار -يعني مصر-. وقال الضحاك: هي مصر والشام.

وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ [البقرة: ٢٦٥] أورده ابن زولاق وقال: الرُّبا لا تكون إلا بمصر.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ [السجدة: ٢٧] قال قوم: هي مصر، وقوَّاه ابن كثير في تفسيره.

وقال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: ٢٠] قال عكرمة: منها القراطيس التي بمصر.

وقال تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٧ - ٨] قال محمد بن كعب القرظي: هي الإسكندرية.

- **لطيفة:**

قال الكندي: قال اللَّه تعالى حكاية عن يوسف -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، فجعل

الشام بَدْوًا، وسمى مصر مصرًا ومدينة.

● **فائدة:**

اشتهر على ألسنة كثير من الناس في قوله تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥] أنها مصر؛ وقد نصَّ ابن الصلاح وغيره على أنَّ ذلك غلط نشأ من تصحيف؛ وإنما الوارد عن مجاهد وغيره من مفسري السلف: ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال: مصيرهم؛ فصُحِّف بمصر» اهـ.

قلت: فهذا كتاب ربنا ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢].

ذكر فيه سبحانه مصر المباركة الآمنة أكثر من ثلاثين مرة بين التصريح والتلميح، فوصفها بالبركة وأنه بارك فيها، ووصفها بالأمن والأمان على داخليها وساكنيها، ووصفها بالكرم وبأنَّ أرضها جنَّات وعيون وكنوز ومقام كريم، وأمر موسى وهارون عليهما السلام بأن يتخذا من أرض مصر قبلة ومساجد يصلون فيها للَّه، فسجد على أرضها كليم اللَّه موسى وأخوه وأصحابهما، وأوحى إلى مريم عليها السلام بالذهاب بابنها عيسى عليه السلام إلى أرض مصر لتأمن فيها على ولدها من مكر اليهود وشرِّهم، كما أوحى إلى نبينا محمد ﷺ بالهجرة إلى المدينة -شرَّفها اللَّه-، وبَيَّنَ أنه قد سكنها الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، عليهم جميعًا الصلاة والسلام، ثم سكنها الكريم يعقوب، وأولاده الأسباط، وكانت سكناهم لمصر مِنَّة من اللَّه عليهم؛ إذ جاء بهم من البدو إلى الأرض الطيبة الخصبة، ومنَّ على مصر بهم، فسجد على أرضها يعقوب الكريم والأسباط.

وقال السيوطي في حسن المحاضرة (١/ ٣٠ - ٣١):

«ذكر من نزل مصر من أولاد آدم -عليه الصلاة والسلام-: قال أحمد

ابن يوسف التِّيفاشيُّ[١] في كتابه: سجع الهديل في أوصاف النيل: ذكر أئمة التاريخ أنَّ آدم -عليه الصلاة والسلام- أوصى لابنه شيث، فكان فيه وفي بنيه النبوَّة، وأنزل اللَّه عليه تسعًا وعشرين صحيفة، وأنه جاء إلى أرض مصر، وكانت تدْعَى بان لون، فنزلها هو وأولاد أخيه (من نسله إدريس فقال:) إدريس عليه الصلاة والسلام، وولد بمصر، وخرج منها وطاف الأرض كلها، وكان في رحلته إلى المشرق أطاعه جميع ملوكها، ثم عاد إلى مصر فأطاعه ملكها، وآمن به، فنظر في تدبير أمرها، وكان النيل يأتيهم سَيْحًا[٢]، فينحازون من مساله إلى أعالي الجبل والأرض العالية حتى ينقص، فينزلون فيزرعون حيثما وجدوا الأرض ندية، فلما عاد إدريس جمع أهل مصر وصعد بهم إلى أول مسيل النيل، ثم سار إلى بلاد الحبشة والنوبة وغيرها وجمع أهلها، وزاد في مسافة جَرْي النيل ونقصه بحسب بُطئه وسرعته في طريقه، حتى عمل حساب جريه ووصوله إلى أرض مصر في زمن الزراعة على ما هو عليه الآن، فهو أوَّل من دبَّر جري النيل إلى مصر، ومات إدريس بمصر» اهـ.

قلت: ونيلٌ دبَّر أمره نبيٌّ مرسل، لا ينْضب ولا يجفُّ بإذن اللَّه.

وقال ابن الكندي في فضائل مصر المحروسة (ص٢٠):

«من كان بمصر من الأنبياء: وأما من كان بها من الأنبياء عليهم السلام، فإبراهيم الخليل، وإسماعيل، ويعقوب، ويوسف، واثنا عشر نبيًّا من ولد يعقوب،

---

(١) هو أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر بن حمدون شرف الدين التيفاشي نسبة إلى قرية تيفاش من قرى قفصة بإفريقية ولد بها، وتعلَّم بمصر وولي القضاء في بلده ثم عاد إلى مصر وتوفي فيها (٦٥١هـ)، وهو عالم بالأحجار الكريمة وغزيرُ العلم بالأدب، طبيبٌ لغويٌّ. (بغية الطلب في تاريخ حلب) (١/ ٤١٥)، الوافي بالوفيات (١/ ١٥٩).

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب (٢٤/ ٢١٦٧): «السَّيْح: الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض، يقال: ساح يسيح سيحًا وسيحانًا إذا جرى على وجه الأرض» اهـ.

وهم الأسباط، وموسى وهارون، ويوشع بن نون، وعيسى ابن مريم، ودانيال، عليهم الصلاة والسلام، فهذا ما ذكر ممن كان بها قبل الإسلام» اهـ.

فإنها مصر الوطن المصون، والبلد المبارك المأمون، فما ظنُّك بأرض وطأ أرضها كل هؤلاء الأنبياء، قد حلَّت بركاتهم على ترابها المبارك ونيلها الكريم، ولا يختار ربُّ العزَّة لرسله إلا المكان الطيب الأمين المبارك، حفظ اللَّه مصر ورعاها وبارك فيها وفي أرضها ونيلها وأهلها، اللهم آمين.

- **ثانيًا: ذكر مصر في السُّنَّة ووصيَّة النَّبِيِّ ﷺ بأهلها:**

روى مسلم في صحيحه (٢٦٦، ٢٦٧/ ٢٥٤٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إنكم ستفتحون أرضًا يُذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا؛ فإنَّ لهم ذمة ورحمًا**». شرَّفك اللَّه يا مصر بِوَصِيَّة أفضل المرسلين والخلق أجمعين، وفي رواية عند مسلم أيضًا: «**إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يُسمَّى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإنَّ لهم ذمة ورحمًا**». أو قال: «**ذمة وصهرًا**». ».

فهذا أمر نبويٌّ شريف بالإحسان إلى مصر والمصريين، فمن أساء إليها فقد أساء إلى الرسول الكريم؛ بمخالفة أمره ووصيَّته.

قال النووي في شرح مسلم (١٦/ ٧٥):

«قال العلماء: القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به.

وأما الذمة فهي الحرمة والحق، وهي هنا بمعنى الذمام.

وأما الرحم؛ فلكون هاجر أُمِّ إسماعيل منهم، وأما الصهر؛ فلكون مارية أم إبراهيم منهم» اهـ.

فإن المصريين يربطهم برسول اللَّه ﷺ ذمة ورحم، فهاجر عليه السلام أم إسماعيل عليه السلام وهو جدُّ رسولنا محمد ﷺ، فالمصريون أخوال النبي ﷺ وأجداده حقيقة لا مجازًا من قبل أُمِّه، وكفى بها منقبة، فأرض هي أرض أخوال النبي وأجداده أرض خير وسلام، تمتد بركة أصل النبوة فيها، في أرضها، في أهلها، في نيلها، في ثمارها، في خيرها إلى يوم القيامة.

هذا من زمن هاجر، ثم تجدَّد العهد والصلة بمارية وابنها إبراهيم ابن رسول اللَّه ﷺ، فكما أنَّ المصريين من قَبْلُ كانوا في الأصل أخوال الرسول ﷺ، فهم الآن أصهاره وأخوال ابنه إبراهيم عليه السلام.

وللمصريين ذمة، أي: حرمة وحقًّا لا يُعتدى عليهم ولا على حقهم.

روى مسلم في صحيحه (٦٥٧) عن جندب بن عبد اللَّه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَنْ صلى الصبح فهو في ذمة اللَّه، فلا يطلبنَّكم اللَّه من ذمته بشيء فيدركه فيكبّه في نار جهنم**».

وفي رواية: «**فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يُدْركْه ثم يكبّه على وجهه في نار جهنم**».

قال النحوي ابن هشام في المفصح المفهم والموضح الملهم لمعاني صحيح مسلم (ص١٦٢):

«قوله: «**في ذمة اللَّه فلا يطلبنكم اللَّه بشيء من ذمته**» الذمة: الضمان، والذمة: الأمان، والذمة: الحرمة، والذمة: العهد، وكلها تنقدح معاني الحديث عليها» اهـ.

وعليه فلأهل مصر: ضمان، وأمان، وحرمة، وعهد، أوْصى النبي ﷺ بمراعاتها وعدم نقضها.

وقال أبو العباس القرطبي (ت٦٥٦هـ) في المفهم لما أُشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٤٠٦/ حديث ٢٤٤٨):

«الذمة: الحرمة، والذِّمام: الاحترام، وقد يكون ذلك لعهد سابق كعهد أهل الذمة، وقد يكون ذلك ابتداءَ إكرام، وهذا هو المراد بالذمة هنا» اهـ.

فلأهل مصر احترام لإكرام رسول اللَّه ﷺ لهم.

قوله ﷺ: «**فاستوصوا بأهلها خيرًا**» يشمل كل خير؛ لأن خيرًا هنا نكرة، وكأنَّ المعنى المراد: فاستوصوا بأهلها كل خير؛ لأن قوله الذي بعد ذلك: «**فإنَّ لهم ذمة ورحمًا**» أي: لأن لهم ذمة ورحمًا فاستوصوا بأهلها خيرًا، وأيضًا فهذه نكرة في سياق الامتنان فتعم، فلقد امتنَّ رسول اللَّه ﷺ على المصريين بالذِّمة وهو ابتداء إكرام -كما قال القرطبي-؛ ولأجل هذه الذمة وللرحم أوصى بنا الخير.

قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص٤٤٥) بعد أن أورد الحديث:

«وعن الزهري قال: الرحم باعتبار هاجر، والذمة باعتبار إبراهيم.

وقد تحصل أنه أراد بالذمة العهد الذي دخلوا منه في الإسلام أيام عمر؛ فإن مصر فتحت صلحًا.

وفي هذا الحديث من أعلام نبوَّته ﷺ فتح مصر وإعطاء أهلها العهد» اهـ.

قال الإسنوي جمال الدين في كتابه (التمهيد في تخريج الفروع على الأصول) (ص٤٢٠):

«**مسألة (٩): النكرة في سياق الإثبات:**

إن كانت للامتنان عمَّت، ذكره جماعة؛ كقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

ووجهه: أنَّ الامتنان مع العموم أكثر؛ إذ لو صدق بالنوع الواحد من الفاكهة، لم يكن في الامتنان بالجنَّتين كبير معنى.

إذا علمت ذلك، فمن فروعه:

الاستدلال على طهورية كل ماء، سواء نزل من السماء، أو نبع من الأرض؛

بقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنفال: ١١]» اهـ.

وانظر شرح الكوكب المنير (٣/ ٣٩١) لابن النجار، والقواعد والفوائد الأصولية لابن اللحام، قاعدة (٥٥) (ص١٦٩).

وعليه، فوصية الرسول محمد ﷺ أنْ تتواصى كل الأمة بالمصريين خيرًا، أي: كل الخير بكل أنواعه وأقسامه، وهذه منة عظيمة، وبركة ممتدة عبر الزمان والمكان.

كذلك المصريون أخوال العرب جميعًا:

قال ابن هشام في سيرته (١/ ٢٥):

«قال ابن لهيعة: أم إسماعيل: هاجر، أم العرب، من قرية كانت أمام الفرما من مصر» اهـ.

وعليه، فكل من أفسد بمصر فهو من ناقضي عهد الرسول وذمته ووصيَّته.

ولقد ذكر المؤرِّخون في فضائل مصر هذا الحديث بروايات شتَّى، وذكروا أيضًا أحاديث أخرى جُلُّها لم يصح، فاكتفيت بهذا الحديث الجامع، مع حديث آخر سيأتي.

- **تجلِّي الرب -جل وعلا- على جبل الطور بمصر المباركة:**

قال ربُّ العزة -جل وعلا-: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٠٥، ٣٠٧):

«فلما تمَّ الميقات عزم موسى على الذهاب إلى الطور، كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ [طه: ٨٠]... وقال السُّدِّيُّ عن عكرمة عن ابن عباس في قول اللَّه تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾

قال: ما تجلَّى منه إلا قدر الخنصر ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ قال: ترابًا ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ قال: مغشيًّا عليه. رواه ابن جرير.

وقال الربيع بن أنس: «﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ وذلك أنَّ الجبل حين كشف الغطاء ورأى النور، صار مثل دكٍّ من الدكاك» اهـ.

فلقد كشف الغطاء وأشرق نور الإله العظيم على جبل الطور، ابن مصر الوفي.

روى الترمذي في سننه (٣٠٧٤) عن أنس ﷺ: أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال حمَّاد: هكذا، وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى، قال: «**فساخ الجبل** ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾» قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب صحيح»، ورواه الحاكم في المستدرك (٤١٠٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه، وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٠٧): «هذا إسناد صحيح لا علة فيه».

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي (٨/ ١٧):

«قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ أي: ظهر نور ربه للجبل» اهـ.

روى مسلم في صحيحه (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ **عن النبي** ﷺ **قال على ربِّ العزَّة:**

«حجابه النُّور، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ٥٧):

«يقول -تعالى ذكره-: فلما اطَّلع الربُّ للجبل جعل اللَّه الجبل دكًّا، أي: مستويًا بالأرض» اهـ.

● بل أقسم ربُّ العزَّة بهذا الجبل فقال: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢].

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: هو الجبل الذي كلَّم اللَّه عليه موسى عليه السلام، وهو قول ابن عمر وابن عباس، والحسن وكعب الأحبار، وابن زيد، رواه عنهم ابن جرير الطبري في تفسيره، الآثار (٣٧٦٩٥-٣٧٦٩٩) وقوَّاه، وكذلك قاله ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٧٣)، والقرطبي في جامعه (٢٠/ ٨١)، وذكر عن النحاس قراءة لابن مسعود: «سيناء» بدل «سينين».

مصرنا البلدة الطيبة المباركة التي جُمِعَ لها الخير كله: تجلِّي نور وجهه الكريم، سبحانه، ومباركته في أرضها، كما مرَّ في قوله تعالى: ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧] حيث قال الليث بن سعد إنها مصر، ونزول بعض الأنبياء والمرسلين على أرضها، وبعضهم ولد فيها كإدريس عليه السلام، كما مرَّ تفصيلًا، ووصية رسول اللَّه ﷺ، والذمة والرحم، و:

● **نهرُك يا مصر من الجنة:**

أما الحديث الآخر الصحيح الذي أشرت إليه آنفًا، فهو ما رواه مسلم في صحيحه (٢٨٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«سَيْحان وجيحان والفرات والنيل كُلٌّ من أنهار الجنة».

قال النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٤١):

«وأما كون هذه الأنهار من ماء الجنة ففيه تأويلان ذكرهما القاضي عياض: أحدهما: أنَّ الإيمان عمَّ بلادها، أو الأجسام المتغذِّية بمائها صائرة إلى الجنة.

والثاني، وهو الأصح: أنها على ظاهرها، أنَّ لها مادة من الجنة، والجنة مخلوقة موجودة اليوم عند أهل السنة، وقد ذكره مسلم في كتاب الإيمان في حديث الإسراء أنَّ الفرات والنيل يخرجان من الجنة، وفي البخاري من أصل

سدرة المنتهى» اهـ.

ويؤكد ما رجَّحه النووي؛ الإجماع الذي نقله غير واحد، منهم الإمام أبو الحسن بن القطان (ت. ٦٢٨هـ) في كتابه «الإقناع في مسائل الإجماع» (١/ ٦٥، ٦٦/ رقم ٢٣٩، ٢٤٨) قال:

«- واتفق المحققون على منع إزالة الظواهر من غير دليل. . . .

- والأحكام على ظاهرها وعمومها، ليس لأحد أن يحمل ظاهرًا إلى باطن، ولا عامًّا إلى خاص؛ إلا بدلالة من كتاب اللَّه ﷻ، فإنْ لم يكن فبسنة رسول اللَّه ﷺ تدل على أنه عام دون خاص، وباطن دون ظاهر، أو إجماع من عامة العلماء الذين لا يجهلون كتابًا ولا سنة، وهكذا السنة، ولو جاز في الحديث أن يُحال شيء عن ظاهره إلى معنى باطن يحتمله، كان أكثر الحديث يحتمل عددًا من المعاني، ولا يكون لأحد ذهب إلى معنى منها، حجة على أحد ذهب إلى معنى غيره، ولكن الحق فيها واحد على أنها ظاهرها وعمومها، إلا بدلالة مما وصفت، وقال لي بعض أهل العلم: لم يختلف أهل العلم في هذا، وإنما اختلفوا في الرجال الذين يثبتون حديثهم ولا يبيِّنونه، وفي التأويل» اهـ.

والفقرة الثانية من كلامه هو نص كلام الشافعي في الرسالة (ص٥٥١، فقرة: ١٧٢٧).

وممن نقل هذا الإجماع أيضًا الجُوَيْنيُّ، فيما ذكره ابن القيم في إعلام الموقعين (٤/ ٤٨٠) قال:

«ذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها، والذي ندين اللَّه به: عقد اتباع سلف الأمة، فالأوْلى الاتباع، وترك الابتداع، والدليل السمعي القاطع في ذلك: أنَّ إجماع الأمة حجة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة، وقد درج صَحْبُ الرسول ﷺ و رضي الله عنهم على ترك التأويل، وكانوا لا يألون جهدًا في ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظها وتعليم الناس

ما يحتاجون إليه منها، ولو كان تأويل هذه الظواهر مسوغًا أو محتومًا، لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرهم، وعصر التابعين لهم على الإضراب عن التأويل، كان ذلك قاطعًا بأنه الوجه المتَّبع» اهـ.

وقال الشوكاني في كتابه: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (٢/ ٧٥٥):

«واعلم أنَّ الظاهر دليل شرعي يجب اتباعه والعمل به، بدليل إجماع الصحابة على العمل بظواهر النصوص» اهـ.

وعليه، فالحديث على ظاهره، وأنَّ نهر النيل أصله من الجنة، ولا تُضرب لأحاديث رسول اللَّه ﷺ الأمثال؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤].

روى الترمذي في سننه (٧٩) والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٤٨) واللفظ له، وابن ماجه في سننه (٤٨٥) وأصله عند مسلم (٣٥٢) عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**توضئوا مما مسَّت النار ولو من ثور من أقط**» فقال له ابن عباس: يا أبا هريرة: إنَّا لنتوضأ بالحميم وقد أُغلي على النار، وإنا لندَّهن بالدُّهن وقد طبخ على النار، فقال أبو هريرة: يا ابن أخي: إذا سمعت بالحديث يُحدَّث به عن رسول اللَّه ﷺ فلا تضرب له الأمثال».

قلت: وقول ابن عباس من ناحية المنحى العقلي مقبول؛ ولكن ينبغي أن يُضبط ويُقيد العقل بالنقل، فيعقل الناس أمورهم بالأدلة والنصوص.

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي (١/ ١٩١):

«الأقط: لبن مجفف مستحجر، والثور: قطعة منه، «فلا تضرب له مثلًا» بل اعمل به واسكت عن ضرب المثل له» اهـ.

والمعنى: إذا جاءك الحديث عن رسول اللَّه ﷺ فاقبل وسلِّم واعمل به، ولا تعارضه بعقلك وضرب الأمثلة العقلية الواقعية من الحياة التي يُظن مخالفة الحديث لها.

- **وعليه فحبُّ مصر دين يدان به:**

فإذا تقرَّر عندك ما مضى مُفَصَّلًا، فاعلم أنه يترتب عليه أنَّ حب مصر دين يُدان به إلى اللَّه.

- **حَلَّ بمصر بركة ثلاثمائة وثلاثة وخمسين صحابيًّا:**

ثم ضُمَّ هذه الضميمة المباركة إلى جملة البركات السالفة الذكر.

فلقد أورد السيوطي في حسن المحاضرة (١/ ١٦٦ - ٢٥٤) تحت باب (ذكر من دخل مصر من الصحابة رضي الله عنهم) طائفة من الصحابة ذكرهم على ترتيب المعجم أوصلهم (٣٥٤) صحابيًّا -رضي اللَّه عنهم أجمعين-، وقد ذكر أنه ألَّف في ذلك تأليفًا سماه: «درُّ السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة» فذكره وذكرهم، فمنهم:

تميم الداري، ثابت بن الحارث الأنصاري، شهدا بدرًا، ثوبان مولى رسول اللَّه ﷺ، وقد تُوفي بمصر؛ كما قال ابن كثير، جابر بن عبد اللَّه الأنصاري، جرهد بن خويلد وكان من أهل الصفة، الحارث بن العباس ابن عبد المطلب ابن عم رسول اللَّه ﷺ، حاطب بن أبي بلتعة، شهدَ بدرًا، دِحْيَة الكلبي، كان جبريل يأتي النبي ﷺ على صورته، وهو من أجمل الناس، الزبير بن العوَّام، زياد بن الحارث الصُّدائي، وحديثه في الأذان مشهور، سعد بن أبي وقاص، سلمة بن الأكوع، سهل بن سعد الساعدي، شرحبيل بن حسنة -وهي أمه- واسم ابيه عبيد اللَّه بن المطاع الكندي، عائذ بن ثعلبة، بايع تحت الشجرة، عبادة بن الصامت، عبد اللَّه بن أُنيس الجهني، لقَّبه النبي ﷺ:

سريَّة وحده، عبد اللَّه بن الحارث بن جزء، وهو آخر صحابي مات بمصر، عبد اللَّه بن حذافة القرشي، شهد بدرًا، مات بمصر، عبد اللَّه بن الزبير بن العوام، أول مولود في الإسلام بعد الهجرة إلى المدينة، وكان أطلس لا لحية له، عبد اللَّه بن عباس، ترجمان القرآن، عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب، عبد اللَّه بن عمرو بن العاص، عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب، شقيق عبد اللَّه وحفصة، عثمان بن عفان أمير المؤمنين، دخل مصر في الجاهلية للتجارة وصار إلى الإسكندرية، عثمان بن قيس بن العاص السهمي، أوَّل من بنى بمصر دارًا للضيافة للناس، عقبة بن عامر الجُهني الصحابي المشهور، علقمة بن رمثة، بايع تحت الشجرة، عمار بن ياسر، عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، دخلها في الجاهلية، ولم يجزم السيوطي بذلك، عمرو ابن العاص أمير مصر وصاحب فتحها، عنبسة بن عدي، بايع تحت الشجرة، عُنيس بن ثعلبة، بايع تحت الشجرة، فضالة بن عبيد الأنصاري الأوسي شهد أحدًا، قيس بن عبادة الأنصاري، كان من النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير، كما قال أنس بن مالك، قيس بن أبي العاص، من مُسْلمة الفتح، محمد بن المستورد بن سلامة، توفي بالإسكندرية، مسلمة بن مُخلَّد -بوزن محمد- وُلد عام الهجرة، وقيل: مات بالإسكندرية، المسور بن مخرمة، المسيَّب بن حزن المخزومي، والد سعيد بن المسيَّب، المطلب بن أبي وداعة الحارث، من مُسلمة الفتح، معاذ بن أنس الجهني، معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين، معبد بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ، معيقيب ابن أبي فاطمة الدَّوسي، هاجر الهجرتين وأسلم قديمًا، المغيرة بن شعبة، وقد دخل مصر في الجاهلية، المقداد بن الأسود، شهد بدرًا، مهاجر مولى أم سلمة، خدم النبي ﷺ خمس سنين، سكن صعيد مصر، أبو أمامة الباهلي صُدي بن عجلان، أبو أيوب الأنصاري، خالد بن زيد، شهد العقبة وبدرًا، أبو جبر، شهد بدرًا، أبو الدرداء عويمر بن عامر الأنصاري، أبو ذر الغفاري،

جُندب بن جنادة، سكن مصر مدَّة، أبو صِرْمة الأنصاري شهد بدرًا، أبو هريرة الدوسي، وكثيرٌ آخرون.

ولقد اكتفيت في الجملة بالمشاهير منهم -رضي اللَّه عنهم أجمعين-، فقد باركوا مصر بدخولهم وسيرتهم وهديهم، فإن النبيَّ ﷺ في حديث الافتراق الذي عليه العمل سلفًا وخلفًا، لما سُئل عن الفرقة الناجية، قال ﷺ: «**مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» رواه الترمذي في سننه (٢٦٤١) وحسَّنه، فلعل اللَّه قد أصاب أهل مصر وأرضها بقسط وافر من النجاة.

ومن النساء: مارية بنت شمعون القبطية سُرِّية رسول اللَّه ﷺ وأم ولده إبراهيم، وسيرين أخت مارية، أهداهما المقوقس حاكم مصر للنبي ﷺ فوهبها النبي ﷺ لحسان بن ثابت، فولدت له عبد الرحمن، وأم عبد اللَّه بنت نبيه ابن الحاج امرأة عمرو بن العاص، دعى لها النبي ﷺ وأثنى عليها، وأم ذر زوجة أبي ذر الغفاري.

قال السيوطي في نهاية ذكر الصحابة رضي اللَّه عنهم أجمعين (١/ ٢٥٤):

«خاتمة: قال ابن الربيع: ذكر ابن وزير أنه دخل مصر مع عمرو بن العاص ممن بايع تحت الشجرة مائة رجل، والمقلل يقول: سبعون رجلًا» اهـ.

ثم ذكر السيوطي من التابعين ممن دخل مصر: مائة وتسعة وستين تابعيًّا، ثم أتباع التابعين، وقد ذكر منهم أكثر من مائة تابعي.

روى البخاري في صحيحه (٢٦٥١) ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران ابن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**» فقد أتى إلى مصر ودخل إليها وسكن فيها، ومنهم من مات بأرضها، خيرٌ على خير على خير.

ثم ذكر من الأئمة المجتهدين في هذا الدين: ستة وسبعين إمامًا، ثم ذكر من المحدثين والحفَّاظ: أكثر من مائة حافظ، ثم اتبعهم بخمسة وثمانين ومائة

محدث دونهم، ثم ذكر من كان بمصر من فقهاء وقرَّاء وأئمة الشافعية، ثم المالكية، ثم الحنفية، ثم الحنابلة: أربعمائة وسبع وثمانين فقيهًا وإمامًا، ثم ذكر من أئمة النحو واللغة تسعة وعشرين إمامًا.

ويكفي مصر حلول حشود الصحب الكرام بها؛ فهم أمنة الدنيا وأمانها؛ فقد روى مسلم في صحيحه (٢٥٣١) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**».

والأمنة والأمن والأمان كلها بمعنى واحد؛ كذا قال النووي في شرح مسلم (١٦/ ٦٤).

- **ثالثًا: ذكر بعض الآثار الموقوفة في فضائل مصر فردوس الدنيا:**

ذكر ابن الكندي في فضائل مصر المحروسة (ص٢٧ - ٢٩) بعض الآثار الموقوفة تحت باب (ذكر مصر وفضلها على غيرها من الأمصار)، وذكر ابن زولاق مثلها وأكثر في كتابه: فضائل مصر وأخبارها تحت باب (فصل في آثار موقوفة) جمعها السيوطي وعلق عليها في حسن المحاضرة (١/ ٢٠ -٢٢) فقال:

«(فصل في آثار أوردها المؤلِّفون في أخبار مصر) ولم أقف عليها مسندة في كتب أهل الحديث، أوردها ابن زولاق وغيره، عن عبد اللَّه بن عمرٍو ﷺ[1]

(١) كان عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ﷺ ممن يطلع على كتب أهل الكتاب، فهذا الأثر بلا شك منها، وقد أمرنا ﷺ تجاه هذه الآثار بعدم تكذيبها؛ لأنها ربما تكون مما لم يُحرَّف منها، وكذلك بعدم تصديقها مطلقًا؛ فلذلك جاء الاستشهاد بها في الجملة، بجانب الأدلة الأصلية الصحيحة، وأنت تجد هذا الأثر تعضده الأدلة الماضية من القرآن والسنة.

قال: لما خلق اللَّه آدم مثَّل له الدنيا شرقها وغربها، وسهلها وجبلها، وأنهارها وبحارها، وبناءها وخرابها، ومَنْ يسكنها من الأمم، ومن يملكها من الملوك، فلما رأى مصر، رأى أرضًا سهلة، ذات نهر جار، مادته من الجنة، تنحدر فيه البركة، وتمزجه الرحمة، ورأى جبلًا من جبالها مكسوًّا نورًا، لا يخلو من نظر الرب إليه بالرحمة، في سفحه أشجار مثمرة، فروعها في الجنة، تُسقى بماء الرحمة، فدعا آدم في النيل بالبركة، ودعا في مصر بالرحمة والبر والتقوى، وبارك على نيلها وجبلها سبع مرات، وقال:

يا أيها الجبل المرحوم، سفحُك جنَّة، وتربتك مسك، يدفن فيها غراس الجنة، أرض حافظة مطيعة رحيمة، لا خَلَتْكِ يا مصر بركة، ولا زال بك حفظ، ولا زال منك ملك وعز، يا أرض فيك الخباء والكنوز، ولك البرُّ والثروة، سال نهرك عسلًا، كثَّر اللَّه زرعك، ودرَّ ضرعك، وزكَّى نباتك، وعظمت بركتك وخصبت، ولا زال فيك الخير ما لم تتجبَّري وتتكبَّري، أو تخوني وتسخري، فإذا فعلت ذلك عَرَاكِ شَرٌّ، ثم يعود خيرُك.

فكان آدم أوَّل من دعا لمصر بالرحمة والخصب وبالبركة والرأفة.

وأورد عن عبد اللَّه بن سلام رضي الله عنه قال: مصر أم البركات، تعم بركتها من حج بيت اللَّه الحرام من أهل المشرق والمغرب، وإن اللَّه يوحي إلى نيلها في كل عام مرتين، مرَّة عند جريانه، فيوحي إليه:

إنَّ اللَّه يأمرك أنْ تجري كما تؤمر، ثم يوحي إليه ثانية: إنَّ اللَّه يأمرك أن تفيض حميدًا، فيفيض، وإنَّ بلد مصر بلد معافاة، وأهلها أهل عافية، وهي آمنة ممن يقصدها بسوء، من أرادها بسوء كبَّه اللَّه على وجهه، ونهرها نهر العسل، ومادته من الجنة، وكفى بالعسل طعامًا وشرابًا[1].

(١) هذا الأثر عن عبد اللَّه بن سلام الصحابي الجليل رضي الله عنه كان من أحبار وعلماء اليهود، شهد له=

وأورد عن علي بن أبي طالب ﷺ، أنه لما بعث محمد بن أبي بكر الصديق إلى مصر قال: إنِّي وجَّهتك إلى فردوس الدنيا.

وعن سعيد بن أبي هلال قال: اسم مصر في الكتب السالفة أم البلاد[1].

وذكر أنها مصوَّرة في كتب الأوائل وسائر المدن مادَّة أيديها إليها تستطعمها.

وعن كعب[2] **قال**: في التوراة مكتوب: مصر خزائن الأرض كلها، فمن أراد بها سوء قصمه اللَّه.

وعن كعب قال: لولا رغبتي في بيت المقدس ما سكنت إلَّا مصر. قيل: ولم؟ قال: لأنها بلدة معافاة من الفتن، ومن أرادها بسوء كبَّه اللَّه على وجهه، وهو بلد مبارك لأهله فيه.

وعن أبي بصرة الغفاري قال: مصر خزائن الأرض كلها، وسلطان مصر سلطان الأرض كلها.

وعن أبي رُهم السماعي، قال: لا تزال مصر معافاة من الفتن، مدفوعًا عن أهلها كل الأذى، ما لم يغلب عليها غيرهم، فإذا كان كذلك لعبت بهم الفتن يمينًا وشمالًا[3].

= اللَّه ﷻ بالعلم فقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: ١٠] وقال اللَّه عليه: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] ذكره ابن كثير عند الآيتين.

(١) لا يعارض ذلك كون مكة -حرسها اللَّه- هي أم القرى، كما قال تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]؛ فإن سياق الأثر أنَّ مصر تُطعم البلاد من خيرها وبركتها وخصب ثمارها، فكانت أم البلاد من هذا الوجه، كالأم التي تطعم وترضع صغارها، واللَّه أعلم.

(٢) **قلت**: وكعب الأحبار من علماء اليهود، وقد صرَّح بأنَّ ما قاله من التوراة.

(٣) **قلت**: والخوَّان المسلمون من غيرنا، فليسوا منَّا ولسنا منهم، وإني أبرأ إلى اللَّه من كل إخواني من أنصار حزب الصهيوأمريكخواني، ما حلُّوا بمكان إلا وأحدثوا فيه فتنة، حمى=

وعن عبد اللَّه بن عمرو قال: البركة عشر بركات، ففي مصر تسع، وفي الأرض كلها واحدة؛ ولا تزال في مصر بركة أضعاف ما في جميع الأرضين.

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ **قال**: أهل مصر الجند الضعيف، ما كادهم أحد إلا كفاهم اللَّه مؤنته. قال تُبَيْعُ بن عامر الكَلَاعي: فأخبرت بذلك معاذ ابن جبل فأخبرني أن بذلك أخبره رسول اللَّه ﷺ.

وعن شُفَي بن عُبيد الأصبحي: قال: بلد مصر بلد معافاة من الفتن، لا يريدهم أحد بسوء إلا صرعه اللَّه، ولا يريد أحدٌ هُلْكهم إلا أهلكه اللَّه. وقيل: إن يوسف -عليه الصلاة والسلام- لما دخل إلى مصر وأقام بها، قال: اللهم إني غريب فحبِّبْها إليَّ وإلى كل غريب، فمضت دعوة يوسف، فليس يدخلها غريب إلَّا أحب المقام بها.

وعن دنيال عليه السلام: «يا بني إسرائيل، اعملوا للَّه، فإنَّ اللَّه يجازيكم بمثل مصر في الآخرة» أراد الجنة» اهـ.

قلت: فالذي جعلني آتي بهذه الآثار في هذا الكتاب؛ كونها لم تخرج عن جملة ما أوردت من الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة، ومعظمها ينطق بمعناها، وإن لم تُسند؛ لذلك -واللَّه أعلم- أوردها السيوطي في كتابه نقلًا عن ابن زولاق، وكذلك أوردها السخاوي في المقاصد الحسنة وسكت عنها، كما سيأتي.

ومما لم يذكره السيوطي عند ابن زولاق، ما ذكره الأخير في كتابه (ص١٢ - ١٣):

«**قال عمرو بن العاص** ﷺ: ولاية مصر جامعة، تعدل الخلافة.

= اللَّه منهم العباد والبلاد، فهم ناقضو وصية النبي وعهده وذمته ورحمه؛ المصرّح به ﷺ في صحيح مسلم كما مرَّ.

وقال الأعمش سليمان بن مهران في قوله ﷻ: ﴿خَيْرٌ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١] قال: هي التي عليها صالح بن علي.

وقال أبو حازم عبد الحميد بن عبد العزيز قاضي العراق: سألت أحمد ابن المدبِّر عن مصر فقال: كشفتها فوجدت غَامِرَها أضعاف عَامِرها، ولو عَمَرَها السلطان لوَفَتْ له بخراج الدنيا.

قال: وقيل لبعض ولاة مصر: متى عهدت مصر تسعين ألف ألف دينار؟ قال: في الوقت الذي أرسل فرعون مصر بوبيَّة قمح إلى أسفل الأرض والصعيد، فلم يجد لها موضعًا تُبْذر فيه، لشغل سائر البلاد بالعمارة» اهـ.

- **مصر كنانة اللَّه:**

وقال ابن الكندي في فضائل مصر المحروسة (ص٢٧ - ٣٠):

«وأما ذكر مصر وفضلها على غيرها من الأمصار، وما خُصَّت به وأوثرت به على غيرها، فروى أبو بصرة الغفاري قال: مصر خزانة الأرض كلها، وسلطانها سلطان الأرض كلها، قال اللَّه تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] ولم تكن تلك الخزائن بغير مصر، فأغاث اللَّه بمصر وخزائنها كل حاضر وباد من جميع الأرض.

وقال سعيد بن أبي هلال: مصر أم البلاد، وغوث العباد.

وأجمع أهل المعرفة أنَّ أهل الدنيا مضطرون إلى مصر يسافرون إليها، ويطلبون الرزق بها...

قال أحمد بن صالح: قال لي سفيان بن عيينة: يا مصري، أين تسكن؟ قلت: أسكن الفسطاط، قال: أتأتي الإسكندرية؟ قلت: نعم، قال لي: تلك كنانة اللَّه يحمل فيها خير سهامه» اهـ.

قال ابن منظور في لسان العرب (٤٤/ ٣٩٤٢) مادة كنن:

«والكِنَانة: جَعْبَةُ السهام» اهـ.

وأيضًا قال الجوهري في الصحاح (٦/ ٢١٨٩) مادة كنن:

«والكِنانة التي تُجعل فيها السهام» اهـ.

وهو نفس المعنى الذي عناه ابن عيينة في كلامه، وكأن المعنى المراد: جُنْدُ مصر خير جنود اللَّه في الأرض.

وقال في المعجم الوسيط (ص٨٠٢):

«الكنانة جَعْبةٌ صغيرة من أدم للنَّبل، جمعها كنائن، وهي أرض مصر على المجاز» اهـ.

وعليه، فإنَّ مصر تسمَّى الكنانة، وأظهر سفيان بن عيينة العلة لهذا الاسم؛ إذ كما تُتَّخذ الكنانة للمحارب كوعاء يضع فيها سهامه ونبله، فقد جعل اللَّه أهل مصر جنودًا يُحارب بهم أعداءه، هم خير الجنود؛ ولم يصح الحديث المرفوع في الباب.

أورد الإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المصري (ت٩٠٢هـ) جملة آثار في كتابه: «المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة» (ص٤٤٣ - ٤٤٥/ الأحاديث: ١٠٢٥ - ١٠٢٨) فقال:

«١٠٢٥- حديث: «**مصر أطيب الأرضين ترابًا، وعجمها أكرم العجم أنسابًا**» قال شيخنا: لا أعرفه مرفوعًا، وإنما يُذكر معناه عن عمرو بن العاص.

١٠٢٧- حديث: «**مصر كنانة اللَّه في أرضه، ما طلبها عدو إلا أهلكه اللَّه**» لم أره بهذا اللفظ في مصر، ولكن عند أبي محمد الحسن بن زولاق في فضائل مصر له حديثًا بمعناه، ولفظه: «**مصر خزائن الأرض كلها، من يردها بسوء قصمه اللَّه**»، وعزاه المقريزي في الخطط لبعض الكتب الإلهية.

وكذا يروى عن كعب الأحبار: مصر بلد معافاة من الفتن، من أرادها بسوء

كبَّه اللَّه على وجهه.

ولابن يونس وغيره عن أبي موسى الأشعري: أهل مصر الجند الضعيف، ما كادهم أحد إلا كفاهم اللَّه مؤنته، قال تُبَيْع بن عامر الكلاعي: فأخبرت بذلك معاذ بن جبل فأخبرني بذلك عن النبي ﷺ يقول: «**إذا فتح اللَّه عليكم مصر بعدي، فاتخذوا فيها جندًا كثيفًا، فذلك الجند خير أجناد الأرض**» قال أبو بكر: ولم ذاك يا رسول اللَّه؟ قال: «**لأنهم في رباط إلى يوم القيامة**».

وعن عمرو بن الحَمِق[1] مرفوعًا: «**تكون فتنة، أسلمُ الناس أو خيرُ الناس فيها الجند الغربي**» قال: فلذلك قدمت عليكم مصر.

وعن أبي بصرة الغفاري أنه قال: مصر خزائن الأرض كلها، وسلطانها سلطان الأرض كلها، ألا ترى إلى قول يوسف: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [يوسف: ٥٥] ففعل فأغيث بمصر وخزائنها يومئذ، كل حاضر وباد من جميع الأرضين.

إلى غير ذلك مما أودعه في تاريخه» اهـ.

وعليه، فقد أثبت السخاوي الآثار الموقوفة في الباب؛ بورودها، وإقرارها والسكوت عليها.

- **مصر قاهرة التَّتَار وكفى به سؤددًا وفخارًا.**

يقول الإمام ابن كثير في البداية والنهاية (١٣/ ٨٤) وهو يقصُّ أبشع وأشنع بلاء ابتُليت به الأمة، حيث ظل يحكي ما حدث ابتداءً من سنة (٦١٧هـ) إلى سنة (٦٥٨هـ) في وقعة عين جالوت، (١٣/ ٨٠ - ٢٠٥)، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة، في هذه السنة عمَّ البلاء، وعظم العزاء

(١) هو عمرو بن الحَمِق بن كاهل بن حبيب الخزاعي، صحابي رضي الله عنه، سكن الكوفة ثم مصر، قتل في خلافة معاوية. (التقريب: ٥٠٥٢) لابن حجر العسقلاني.

بجنكز خان المسمَّى بتموجين لعنه اللَّه تعالى، ومن معه من التتار قبَّحهم اللَّه أجمعين، واستفحل أمْرُهم، واشتدَّ إفسادهم، من أقصى بلاد الصين إلى أن وصلوا بلاد العراق وما حولها، فملكوا في سنة واحدة وهي هذه السنة سائر الممالك إلا العراق والجزيرة ومصر(١)، وقهروا جميع الطوائف التي بتلك النواحي الخوارزمية، وقتلوا في هذه السنة من طوائف المسلمين وغيرهم في بلدان متعددة كبار، ما لا يُحدُّ ولا يُوصف، وبالجملة فلم يدخلوا بلدًا إلَّا قتلوا جميع من فيه من المقاتلة والرجال، وكثيرًا من النساء والأطفال، وأتلفوا ما فيه بالنَّهب إن احتاجوا إليه، وبالحريق إن لم يحتاجوا إليه، حتى إنهم كانوا يجمعون الحرير الكثير الذي يعجزون عن حمله فيطلقون فيه النار وهم ينظرون إليه، ويخرِّبون المنازل، وما عجزوا عن تخريبه يحرِّقوه(٢)، و أكثر ما يحرِّقون المساجد والجوامع، وكانوا يأخذون الأسارى من المسلمين فيقاتلون بهم ويحاصرون بهم، وإن لم ينصحوا في القتال قتلوهم.

(قال ابن كثير): وقد بسط ابن الأثير في كامله خبرهم في هذه السنة بسطًا حسنًا مفصَّلًا، وقدَّم على ذلك كلامًا هائلًا في تعظيم هذا الخطب العجيب، قال:

فنقول: هذا فصل يتضمَّن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقمت الليالي والأيام عن مثلها، عمَّت الخلائق وخصَّت المسلمين، فلو قال قائل: إنَّ العالم منذ خلق اللَّه آدم إلى الآن لم يُبتلوا بمثلها لكان صادقًا، فإنَّ

---

(١) ثم بيَّن بعد ذلك أنهم دخلوا العراق والشام، وحفظ اللَّه مصر بحفظه.

(٢) فانظر -رحمك اللَّه- إلى هذه النفوس المريضة الشرسة المخربة للحرث والنسل، ثم انظر إلى أفراخ الإخوان في تحريقهم لبيوتهم التي يسكنون فيها في المدينة الجامعية، وتخريبهم لإدارة جامعة الأزهر التي بها مصالح الآلاف من الطلبة المتمثلة في الأوراق الرسمية، وتحريقهم للأشجار التي نهى رسول اللَّه ﷺ عن حرقها حتى لو وقعت الحرب في ديار الكافرين، وتدميرهم للمرافق؛ لتعلم شبه هؤلاء بالتتار، قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤].

التواريخ لم تتضمَّن ما يقاربها ولا يدانيها، ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث، ما فعل بخت نصر ببني إسرائيل من القتل، وتخريب بيت المقدس، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرَّب هؤلاء الملاعين من البلاد، التي كان مدينة منها أضعاف بيت المقدس، وما بنو إسرائيل بالنسبة لما قتلوا؟!، فإنَّ أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل، ولعلَّ الخلائق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا إلا يأجوج ومأجوج، وأما الدجَّال فإنه يُبقي على من اتبعه ويُهلك من خالفه، وهؤلاء لم يُبقوا على أحد، بل قتلوا الرجال والسناء والأطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنَّة، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم لهذه الحادثة التي استطار شررها، وعمَّ ضررها، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح. . . » اهـ. وإنما ذكرت التتار من باب التنبيه بالأعلى على الأدنى.

فظل ابن الأثير يحكي ويقصُّ ما كان منهم، فإنما تمكن هؤلاء من قتل وذبح أكثر من مليوني نفس، وهو يعادل اليوم عشرات الملايين بالنسبة والتناسب لعدد المسلمين اليوم، ثم آل الأمر من بعد جنكز خان، إلى هولاكو خان إلى أن قسم اللَّه ظهورهم وأكبهم على وجوههم لما أرادوا مصر، حتى كانت هذه الوقعة الشهيرة: عين جالوت والتي قيَّض اللَّه لهم فيها صاحب مصر الملك المظفَّر قُطز.

قال ابن كثير في البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٣، وما بعدها):

«ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة، استهلَّت هذه السنة بيوم الخميس، وليس للناس خليفة، وملك العراقين وخراسان وغيرها من بلاد المشرق للسلطان هولاكو خان ملك التتار، وسلطان ديار مصر الملك المظفر سيف الدين قطز مملوك المعز أيبك التركماني، وقد عزموا على قتال المصريين وأخذ مصر منهم -فأخذهم اللَّه أخذ عزيز مقتدر-.

وقعة عين جالوت: اتفق وقوع هذا كله في العشر الأخير من رمضان من هذه السنة، فما مضت سوى ثلاثة أيام، حتى جاءت البشارة بنصرة المسلمين على التتار بعين جالوت، وذلك أنَّ الملك المظفر قطز صاحب مصر؛ لما بلغه أنَّ التتار قد فعلوا بالشام ما ذكرنا، وقد نهبوا البلاد كُلَّها حتى وصلوا إلى غزَّة، وقد عزموا على الدخول إلى مصر؛ بادرهم قبل أن يبادروه، وبرز إليهم وأقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه، فكان اجتماعهم على عين جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان، فاقتتلوا قتالًا عظيمًا، فكانت النُّصرة وللَّه الحمد للإسلام وأهله فهزمهم المسلمون هزيمة هائلة، وأتبع الأمير بيبرس وجماعة من الشجعان التتار يقتلونهم في كل مكان إلى أن وصلوا خلفهم إلى حلب، وهرب من دمشق منهم يوم الأحد السابع والعشرين من رمضان فتتبعهم المسلمون من دمشق يقتلون فيهم ويستفكون الأسارى من أيديهم، وجاءت بذلك البشارة وللَّه الحمد على جبْره إيَّاهم بلطفه، وفرح المسلمون بنصر اللَّه فرحًا شديدًا، وأيَّد اللَّه الإسلام وأهله تأييدًا». اهـ.

والذي يجب أن يُدركه جميع الأمة، أنَّ الذي مكن للتتار من رقاب ملايين المسلمين هم الروافض الشيعة الخبثاء، بقيادة ابن العلقميّ والطوسي، وما أشبه اللَّيلة بالبارحة؛ فحقدهم ممدود عبر القرون قد مدَّ بجذوره فأثمرت، وتشعَّبت وتفرعت فكثُر ورَّاثهم، وما زال المكر مستمرًّا بالمسلمين، وكلٌّ من مدَّ يد العون إليهم فهو منهم، وما مدَّ للروافض الشيعة يد العون حديثًا إلا اليهود وأمريكا وحلفاؤهم في المنطقة، الإخوان المسلمون، وما فعله مرسي مع إيران ليس ببعيد علينا.

فانظر -رحمك اللَّه- إلى قوم وصلوا إلى أن ملكوا الدنيا، ودانت لهم كل الملوك والجبابرة، يقتلون ويذبحون ويفجرون بالنساء ثم يشقوا بطونهم فيُخرجون منها الأجنة، وذلك أمام عَصَبَة النساء من الرجال، لا يردُّهم

ولا يقدر عليهم أحد، قد حصدوا المسلمين حصدًا، ثم يهلكهم اللَّه على أعتاب مصر المباركة في ثلاثة أيام!!!! كما دمَّر اللَّه أصحاب الفيل عند بيته المُحرَّم -حفظه اللَّه-.

- **كيف تُفعَّل بركةُ مصر؟**

فأين اليهود والأمريكان ودول الكفر والطغيان، ولو صار بعضهم لبعض ظهيرًا، بجانب الجبابرة العتاة المجرمين التتار؟!

فما هو إلا أنْ يرجع الشاردون المصريُّون إلى سبيل ربهم، الذي قال اللَّه عليه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ما أنْ يرجع المصريون إلى طاعة الربِّ ملك الملوك وقاهر الأكاسرة والجبابرة؛ حتى تُفَعَّل لهم البركات المعطلة بسبب المعاصي والشرود، فما هو إلا أنْ يتوب أهل مصر توبة نصوحًا حكام ومحكومون، رعاة ورعية، فيطبِّقوا شرع ربهم ويقيموا سنة نبيهم، بفهم الكرام سلفهم، فيُنيبُوا إلى السبيل الحق، الذي لا سبيل غيره ولا طريق سواه؛ ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فما هو إلا أنْ تُطهَّر مساجد مصر من الأضرحة والمشاهد والقبور، التي تُعبد من دون اللَّه في شتَّى الأمور، إلا ويحل عليها رِضَى الربِّ المتجلِّي بقاهريته وغالبيَّته وجبروته ورحمته على جبل مصر الوفي المبارك، ببركة التوحيد؛ ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ﴾ [الأنفال: ٣٩]، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

فأول الأمر التوحيد كما قال النبي ﷺ لمعاذ: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا اللَّه**»[1]، وآخر الأمر التوحيد: «**لقنوا موتاكم لا إله**

(١) حديث متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه (٢٣٤٧) ومسلم (٣١/ ١٣).

إلا اللَّه»[1]، أي: مَنْ حَضَرَه الموتُ من أقربائكم وإخوانكم المسلمين؛ إذْ هذا هو طريق الفلاح ولا فلاح في غيره ألبتة.

فقد روى الإمام أحمد في مُسنده (١٥٩٦٢ - ١٥٩٦٥) والبيهقي في سننه الكبرى (١/ ٧٦) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٢): «رجاله ثقات» من حديث ربيعة بن عبَّاد الديلمي رضي الله عنه قال: «رأيت رسول اللَّه ﷺ بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا اللَّه تفلحوا**» ويدخل في فجاجها، والناس متقصفون عليه -يعني يزدحمون عليه- فما رايت أحدًا يقول شيئًا وهو لا يسكت، يقول:

«**أيها الناس قولوا لا إله إلا اللَّه تفلحوا**» إلَّا أنَّ رجلًا أحول وضيء الوجه ذا غديرتين يقول: إنه صابئ كذاب، فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد بن عبد اللَّه وهو يذكر النبوة، قلت: من هذا الذي يكذبه؟ قالوا: عمُّه أبو لهب».

فانظر إلى قوله: «وهو يذكر النبوة» ثم ما زاد على ذكر التوحيد؛ فإن التوحيد هو الدين، وهو الإسلام، وهو مدار النبوة، وتعلُّق القلب بغير اللَّه في جلب النفع ودفع الضرِّ شرك ينافي التوحيد؛ وإنَّ الذي لا مرية فيه: هو فعل المسلمين في كل مكان به الأضرحة والقبور، من طلبهم منها من دون اللَّه، جلب النفع ودفع الضر، فأصل التوحيد ألا يتعلق القلب إلا باللَّه وحده الذي بيده الضر والنفع وخزائن السموات والأرض ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

فما بين المصريين وتفعيل بركات هذا البلد الأمين إلا إقامة التوحيد، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ

(١) رواه مسلم (٩١٦) مرفوعًا إلى الرسول ﷺ.

خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

وفي معنى التوحيد الذي هو أصل الدين يُفهم حبُّ الوطن -كما سيأتي تفصيلًا في اللبنة الثالثة-؛ إذْ هناك فرق عظيم وبَوْن رهيب بين حبّ الوطن والمواطنة، فالمرء يحب وطنه محبة لا تنافي التوحيد؛ قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال واصفًا حال إبراهيم خليل الرحمن وأبي الأنبياء والمرسلين: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، ثم قال تعالى حتى يبيِّن سماحة الإسلام وعدم ظلمه لأي أحد من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، في نفس السورة بعدها: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨ - ٩].

فلغير المسلم في دولة الإسلام المعاملة الحسنة، وطيب العشرة، وحسن الجوار، وعدم ظلمه، وتحريم الاعتداء عليه في النفس أو العرض أو المال أو المعتقد، كما قال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] مع صيانة الدين وتطبيق شريعة الولاء والبراء، والحب في اللَّه والبغض في اللَّه.

فاتقوا اللَّه في مصر بإقامة التوحيد كما أقامه رسولُ الحميدِ المجيدِ ﷺ، وكما أقامه صحابته رضي الله عنهم، ولا تعصوا ربكم؛ فإن للمعاصي شؤمًا أشدَّ فتكًا بالأمة والعالمين من المفاعلات الذرية لو انفجرت كلها في صعيد واحد.

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا

وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقال -جل وعلا-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٤ - ٢٥]، ففتنة المعصية لا تصيب العصاة فحسب بل يعمُّ شؤمها الأخضر واليابس والبرَّ والبحر.

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

فلا حياة طيبة للمصريين خاصة، وللمسلمين عامة إلا بتقوى اللَّه والأعمال الصالحة وإقامة التوحيد للحميد المجيد، وفَّق اللَّه إخواننا الطيبين لما يحبه ويرضاه ربُّ العالمين.

- **مصر وطن ودار إسلامي رغم أنف الخوارج التكفيريين المارقين:**

وبلدنا مصر الوطن الأمين، وطن ودار إسلامي، تقام فيه شعائر الإسلام من الأذان وصلاة الجماعات والجُمُعات والعيدين، وبها الكليات الشرعية والمعاهد الدينية، وعندنا بعض التقصير والخلل الذي لا يسلم منه بلد ولا مكان على وجه الأرض، ولا يصف ديار مصر بالكفر إلا المجرمون الخوارج التكفيريُّون، عدوُّو أنفسهم، كلاب أهل النار.

ولقد فصَّلت القول في الرَّد على من كفَّر البلاد والعباد بدون أثارة من العلم إلا بالهوى، في كتابي: «ملاك أمر الخوارج الجدد في حرفين» فأغنى عن الإعادة هنا، وكذلك كتابي: «الصبغة التقعيدية لدعائم منهاج النبوة المصطفوية»، فقد قعَّدت فيها سبعين قاعدة في عقيدة أهل السنة والجماعة.

* * *

اللَّبنة الثانية
طاغوتا الجماعات وجبتاهما،
والحِلْفُ الصهيوأمريكخواني الخئون

● **أولًا: بيان حقيقة العبودية وتحقيق التوحيد:**

أما بعد: فمن حيث انتهى بنا الكلام في اللَّبنة الأولى تُنسج الثانية.

فإنه لمَّا قصَّر المسلمون في تحقيق كلمة التوحيد بإقامة شرع اللَّه بامتثال أمر اللَّه ورسوله، واجتناب نهي اللَّه ونهي رسوله؛ والتحاكم إلى اللَّه ورسوله فيما يتنازع فيه المسلمون، واستبدل الناس الذي هو أدنى بالذي هو خير، وركنوا إلى أقوال الرجال وآرائهم وأفكارهم وأصولهم التي أصَّلوها، وقد استغنوا بها عن الكتاب والسنة، فكان هذا هو أصل البلاء والفتن والإرهاب والخراب.

ولقد خلقنا ربُّ العزَّة -جل وعلا- لغاية سامية واضحة بيِّنة، لا تخفى إلَّا على من لا عقل له ولا بصيرة، وهي عبادته وحده سبحانه وتوحيده؛ بإقامة شرعه؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٤٢):

«والمعنى: وما خلقت أهل السعادة من الجن والإنس إلا ليوحِّدون.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: أي: وما خلقت الجنَّ والإنس إلا لآمرهم بالعبادة. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [التوبة: ٣١].

وقال مجاهد: إلا لآمرهم وأنهاهم.

وقال الكلبيُّ: إلا ليوحِّدون، فأما المؤمن فيوحِّده في الشدَّة والرخاء، وأما الكافر فيوحِّده في الشدة والبلاء دون النِّعمة والرخاء؛ يدلُّ عليه قوله

تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢].

وقال عكرمة: إلا ليعبدون ويطيعون فأثيب العابد وأعاقب الجاحد، وقيل: إلا لأستعبدهم. والمعنى متقارب؛ تقول: عبدٌ بيِّنُ العبودة والعبودية، وأصل العبودية الخضوع والذل، والتعبُّد التذليل، يقال: طريق مُعَبَّد - أي: مذللٌ ممهدٌ لسالكيه- والتعبد الاستعباد، وهو أنْ يتخذه عبدًا، وكذلك الاعتباد، والعبادة الطاعة، والتعبُّد التنسُّك، فمعنى: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: ليذلُّوا ويخضعوا ويعبدوا» اهـ.

وعليه، فإنما خلقنا ربُّنا ﷻ لنأتمر بأوامره، ونجتنب نواهيه، وذلك في كافة شعائر الإسلام، في العبادات، والمعاملات، والعقائد، والأخلاق، وأمور الحكم والسلطنة؛ كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وهذه هي حقيقة العبودية والتوحيد، التي أُرسلت الرسل من أجْلها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٢٤):

«أرادوا أنْ يتحاكموا إلى حكام الجاهلية، وقيل غير ذلك، والآية أعم من ذلك كُلِّه؛ فإنها ذامَّةٌ لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكموا إلى سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا، ولهذا قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى

ٱلطَّٰغُوتِ﴾» اهـ.

وقال الإمام ابن جرير الطبري شيخ المفسرين كما في تفسيره المسمَّى: جامع البيان في تأويل القرآن (٥/ ١٥٧ - ١٥٨):

«والصواب من القول في تأويل: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ أنْ يُقال: يصدقون بمعبودين من دون اللَّه يعبدونهما من دون اللَّه، ويتخذونهما إلهين. وذلك أنَّ الجبت والطاغوت اسمان لكل مُعَظَّم بعبادة من دون اللَّه، أو طاعة، أو خضوع له، كائنًا من كان ذلك المُعَظَّمُ من حجر، أو إنسان، أو شيطان.

وإذ كان ذلك كذلك، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها، كانت مُعظَّمة بالعبادة من دون اللَّه، فقد كانت جبوتًا وطواغيت، وكذلك الشياطين التي كانت تطيعها في معصية اللَّه، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولًا منهما ما قالا في أهل الشرك باللَّه، وكذلك حُييّ بن أخطب، وكعب بن الأشرف؛ لأنهما كانا مُطاعَيْن في أهل ملَّتهما من اليهود في معصية اللَّه والكفر به وبرسوله، فكانا جبتيْن وطاغوتيْن» اهـ.

وهذه المعاني قد استحسنها القرطبي في تفسيره حيث قال (٥/ ١٧٣):

«**قال ابن مسعود**: الجبت والطاغوت هاهنا كعب بن الأشرف وحيَيّ بن أخطب.

وقال عكرمة: الجبت حييّ بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف، دليله قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾، وقال قتادة: الجبت الشيطان والطاغوت الكاهن. وروى ابن وهب عن مالك بن أنس: الطاغوت ما عبد من دون اللَّه. قال: وسمعت من يقول: إنَّ الجبت الشيطان؛ ذكره النحَّاس.

وقيل: هما كل معبود من دون اللَّه، أو مطاع في معصية اللَّه، وهذا حسن، وأصل الجبت: الجبس، وهو الذي لا خير فيه، فأبدلت التاء من السين؛ قاله قُطْرُب.

وقيل: الجبت إبليس، والطاغوت أولياؤه، وقول مالك في هذا الباب حسن يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ١٧]» اهـ.

لقد بيَّن الإمام ابن رجب الحنبلي في كتابه النافع: تحقيق كلمة الإخلاص (١٥/ ١٧) معنى كلمة التوحيد، التي هي كلمة الإخلاص، فكان مما قاله:

«فتحققه -أي القلب- بمعنى شهادةِ أنْ لا إله إلا اللَّه، أنْ لا يألَه قلبُه غير اللَّه حُبًّا ورجاء، وخوفًا وطمعًا، وتوكُّلًا، واستعانة، وخضوعًا، وإنابة، وطلبًا.

وتحقُّقه بأنَّ محمدًا رسول اللَّه، الَّا يعبد اللَّه بغير ما شرَّعه على لسان نبيه محمد ﷺ.

وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه: أنَّ قول العبد: لا إله إلا اللَّه، يقتضي أن لا إله غير اللَّه، والإله هو الذي يطاع فلا يُعصى؛ هيبةً له وإجلالًا، ومحبة وخوفًا ورجاءً، وتوكلًا عليه، وسؤالًا منه ودعاء له، ولا يصلح ذلك كلُّه لغير اللَّه ﷻ، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قوله: لا إله إلا اللَّه، ونقصًا في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كلُّه من فروع الشرك؛ ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير اللَّه، أو خوفه، أو رجائه، أو التوكل عليه، أو العمل لأجله» اهـ.

قلت: هذه هي المعاني اللُّغوية والشرعية للجبت والطاغوت بشكل عام؛ وليس المراد من ذكرها في هذا الكتاب تنزيلها مطابِقَةً مطابَقَةً كلية على الجماعات ورموزها ورؤوسها، فيصير حال الجماعات وأفرادها كحال أهل الشرك مع معبودهم كما كان في عهد الجاهلية، أعوذ باللَّه من ذلك، وأنا من

أبعد الناس عن تكفير المسلمين، بل أقول: هذا هو حال هذه الجماعات التكفيرية من كونهم يكفِّرون المسلمين حكامًا ومحكومين، بل عندهم المجتمعات المعاصرة كلها مجتمعات كفرية؛ ومن هنا أحلُّوا لأنفسهم الخروج على الحكام وتقتيل أفراد الحكومات من الجيش والشرطة؛ وإنما ذكرت هذه الآيات وشروحاتها في هذا السياق لسببين:

السبب الأول: بيان حال هذه الجماعات ورموزها أمام أنفسهم؛ على طريقة التكشف والتعري والتبيين، فيروا أنفسهم في المرآة، فيعلموا أنَّ الذي رَمَوْا به المسلمين -بلا حجة- من التكفير هو فيهم، فمن باب أوْلى -على منهجهم الفاسد الضال- أن يكفروا أنفسهم ورؤوسهم، لو أنهم أنزلوا ما أنزلوه بالناس على حالهم؛ لعلهم يرجعون.

ومع ذلك؛ فإنَّ أهل السنة يوقنون بأن هذه الجماعات مسلمون بلا شك ولا مرية، ولا يكفرونهم على ما كان منهم من طاعتهم العمياء لرموزهم بما يخالف الكتاب والسنة وإجماع المسلمين؛ وذلك لفرط جهلهم بأصول ومعنى التوحيد، والعذر بالجهل من أقوى الأسباب لمنع تكفير من أتى ولو حتى بالكفر البواح؛ وذلك لأن هذه الجماعات، الأتباع والرموز الآن جعلوا مرجعيَّتهم إلى أصول مؤسس الجماعة الأم -حسن البنا- وهي أصوله العشرون، يرون -من خلالها ومن خلال سيد قطب وكتبه-: الكتاب والسنة، ومن هنا جاءت الانحرافات العقدية، والخروقات البدعية، ولوي عنق النصوص، وتحميلها مالا تحتمل، فظهرت التفسيرات المشوِّهة للكتاب والسنة.

وأما السبب الثاني: فهو بيان خطورة وعُظْم الانقياد التام بدون عقل ولا فهم ولا وعي ولا شرع، والسمع والطاعة الجهولة العمياء من غير قيود ولا ضوابط، بل هي مطلق الطاعة التي لا ينبغي أن تكون إلا للَّه أو للمعصوم رسول اللَّه ﷺ، وهي عند الإخوان للرموز والرؤساء، وفي طاعة اللَّه والرسول

لا تُعرض الأدلة الشرعية من الكتاب والنسة على العقول وآراء الرجال؛ لأن الذي أتى بهذه الشريعة هو خالق كل العقول، فكان شرعه موافقًا ومناسبًا لكل العقول على اختلاف توجُّهاتها، وإنما يجب ألَّا يُسرَّح العقل إلا في مجال الدليل والنقل كما قال الشاطبي في الموافقات، وأنَّ الذي ينبغي هو تنزيل قول كل أحدٍ كائنًا من كان -سوى الرسول ﷺ- على الكتاب والسنة والعقل السليم الشرعي المستقيم على الأدلة، فإن وافق كلامه الكتاب والسنة أُخِذ به، وإلَّا فيُضْرَبُ به عرض الحائط قولًا واحدًا لا خلاف فيه عند أهل العلم سلفًا وخلفًا، ولا يخالف ذلك إلا من قلَّ حظه من العلم وتحكّمت فيه الأهواء.

- **ثانيًا: طاغوتا الجماعات وجبتاهما:**

وعلى ضوء هذين السَّببين أقول: إنَّ الناظر المستبصر في كل ما يحدث من أنواع العنف والإرهاب في الداخل والخارج، من قمة الهرم الدموي التفجيري التكفيري وهو: القاعدة، إلى أصغر وأحقر قنبلة يدوية بدائية الصنع فجَّرها خارجي عفن، وهذه الموجة الشرسة من الإصرار على ذيوع الفوضى والرعب والخوف والاضطراب العام في شتَّى أنحاء مصر المحروسة -حفظها اللَّه- سواء كان ما يحدث في الجامعات، أو في الميادين والشوارع المختلفة في ربوع مصر، وما كان من التمويل الإرهابي العالمي؛ لتقوية ما يحدث في بلادنا من الخراب العام والرغبة في الدمار الشامل، لو استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، بِغِلٍّ وحِقْدٍ دفين لا نظير له، ولا مثيل له، مع المساعدة المستمرة من هذه الموجات الإعلامية الدعوية، مثل القناة الماسونية الصهيوصليبية الأمريكية التركية القطرية الإخوانية، قناة الجزيرة اليهودية الصنع والفكر، وهذه المئات التي تُقتل من أفراد الجيش والشرطة من الجنود والضبَّاط، وما يحدث في مديريَّات الأمن وأقسام الشرطة؛ فإنَّ المتأمل الدارس لتاريخ الجماعات المنحرفة، ليعلم علم اليقين أنَّ كل هذه الجماعات على اختلاف توجُّهاتها وفكرها في

الظاهر، واختلاف أسمائها، إنما تفرَّعت من الجماعة الأم لكلِّ إرهاب وُجِدَ في العصر الحديث، مِنَ الفِرَقِ التي سُمِّيَتْ بالجماعات الإسلامية، وهي جماعة الإخوان المسلمين.

ومن ثم، وعلى ضوئه، يُعلم صَنَما الجماعة، وجِبْتَاها وطاغوتاها، اللَّذَان خطَّا ملامح الإرهاب وصفته وقوانينه، واللَّذان هما بمثابة حُيَيِّ بن أخطب وكعب بن الأشرف في بني إسرائيل، إنهما: قبيح الهدَّام، المسمى كذبًا وبهتانًا بحسن البنا؛ إذْ بينه وبين الحسن والبناء كما بين المشرق والمغرب، ثم الطاغوت الآخر الذي طوَّر فكر الجماعة وانحط بها إلى الحضيض الأوهد والهوَّة السحيقة على سُبُل الشياطين والأبالسة، في الارتقاء بأفراخهما وأتباعهما إلى قمَّة الإرهاب الدموي الفاجر، والعُهْر الفكري الغادر، والمنهج التكفيري الماكر، جِبْتُ الجماعة وطاغوتها، قطب الضلالة والإفساد وكبيرها، عدو الهداية والرشاد سيدُ قطب، وقد أحسن اللَّه اسمه، فهو سيدُ الإرهاب وقُطبه، بلا منازع، بل هو إمام فيما يُحسنه من دعوة الناس إلى النار كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص: ٤١].

أما أنْ يُقال فهو اسم على مسمَّى، وله من السُّؤْدد والمكانة العالية، وهو رجل صاحب قضية، والإمام الشهيد، فهي كلمات خدَّاعة يروِّجها أفراخه المشوَّهُون، بل دونه ودون السيادة والسُّؤْدد خرط القتاد، بل هو عبد أبْكمُ مملوك لا ياتي إلا بالشر؛ كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؟! [النحل: ٧٦].

لقد قامت جماعة الإخوان المسلمين على أصول البنا العشرين، وكتبه ورسائله الهدَّامة شديدة القبح، وأفكاره المفسدة في الأرض بعد إصلاحها، حتى تَشَبَّعَتْ قلوبُهم بها، وأُشْرِبَتْها، حتى تغلغلت في نسيجها، كما يتشرَّبُ

نسيجُ الخرقة البيضاء، دم الحيض الثخين الأسود المنتن المتدفق في شدَّته وفورته.

ثم أكمل منظومة الفساد العقدي من بعده -وهو أشد خطرًا من الأول- قطب الضلالة وطاغوت الجماعات وجبتها الأكبر؛ من خلال كتبه الموصوفة بحسن العبارة ومعسول القول، فساعدته هذه المزية على دس السم الزُّعاف سريع المفعول في قلوب وعقول أتباعه، حتى انتشر تأثيره واستشرى في أنحاء المعمورة، حتى استبدلت الجماعات على اختلاف أسمائها الذي هو أدْنى بالذي هو خير، فاستبدلت أفكار الصنمين بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وتعبدوا إلى اللَّه وتدينوا بفكر التكفير والإرهاب، حتى أصبح الإرهاب لهم سجية، والتكفير لهم منهجًا وقضية، لا يتنازلون ولا يميلون عنهما منحرفين قِيدَ أُنْمُلَةٍ.

وليس أدلّ على ذلك من اعتراف إبليس الجماعات والإرهاب المتربِّع على عرش الإفساد في الأرض -أيمن الظواهري- أنه قد اعتنق فكر سيد قطب في شأنه كُلِّه، وتأثر به جدًّا، واعترافه -أيضًا- أنَّ أخاه الشيطان المريد: أسامة ابن لادن كان إخوانيًّا، وكذلك عبد اللَّه بن عزام شيخ أسامة بن لادن، كان إخوانيًّا قُحًّا، وقطبيًّا صرفًا، وهو من أصَّل فكرة القاعدة؛ وإنما رُسِّخَتْ أصول الإرهاب والتكفير وبُذرت في أرض السمع والطاعة العمياء المطلقة التي تقبل كل البذور، فدبَّ سرطان الكفر والإرهاب في شتى أنحاء المعمورة؛ وذلك لأن جماعة الإخوان قد أنزلت البنا وسيد قطب منزلة المعصوم؛ وما ذلك كذلك إلا لفرط غلوِّهم، وجهلهم الذريع بأصول التوحيد.

ولو كانت هذه الطاعة المطلقة للَّه وللرسول، لأقيمت فعلًا وبلا مِرْية شريعة اللَّه في الأرض.

ثم إن جلَّ الناس كانوا ما يرون الإرهاب إلا في هذه الجماعات الجهادية،

أو الجماعة الإسلامية، أو جماعة التكفير والهجرة، وأمثال هذه الجماعات في الفكر والمعتقد، وجُلّ الناس قد اعتقدوا أنَّ جماعة الإخوان المسلمين جماعة دعوية اجتماعية، لا علاقة لها بالإرهاب من قريب أو بعيد، وهي في عيون البصير أُمُّهُ وأصلُه، غير أنها تعمل في الخفاء، وتحرِّك كافة الجماعات لمصلحتها؛ لما عندها من وجوه الدعم المادي والسياسي الدولي الذي هو بلا حدود، فلمَّا تهيَّأت لهم الفرصة على حين غفلة من المصريين الطيبين، انقضوا على كرسي الحكم؛ تحت شعار تطبيق شرع اللَّه، وهو منهم بريء، وما هي إلا سَنَة، قد أظهر اللَّه فيها كل خبيء، وانكشف الغطا وبرح الخفا، وظهرت دمويتهم وإرهابهم للقاصي والداني، وصار اللعب على المكشوف، وسُلبت منهم نعمة التمكين التي ما وصلوا إليها إلا بعد أكثر من ثمانين سنة من الخداع الخفي، فلمَّا خُلعوا طاشوا وجُنُّوا، وتوعَّدوا الأهل والجيران والأوطان، وألَّبوا عليهم صناديد الكفر ودول الإلحاد؛ لعلهم ينالون حكمهم المسلوب، وحلمهم المنكوب؛ فكان هذا منهم إصرارًا على الخيانة العظمى للإسلام والمسلمين، ولمصر والمصريين، فهلكوا من حيث أرادوا النجاة، وصُنِّفُوا ورُسِموا في أعين المصريين بأنهم هم المجرمون الطغاة، فما ادَّخروا جهدًا لإهلاك العباد والبلاد، اقتصاديًّا واجتماعيًّا، سياسيًّا وتعليميًّا، دينيًّا وأخلاقيًّا، مستخدمين لذلك الأطفال والنساء والشباب، وما طالته أيديهم من غير ذلك، وكل أنواع العِدَاء، من أجل خراب مصر والمصريين؛ وهلاك هذا البلد الأمين؛ ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

ومن أجلِّ ذِكْر اللَّه الذي أنساهم الشيطان إيَّاه؛ باستحواذه عليهم حتى باعوا الدين والدنيا من أجله، أنَّ هذه البلدة الطيبة محفوظة محروسة مأمونة بأمن اللَّه وأمانه، المؤمن، المهيمن، القاهر فوق عباده، الغالب على أمره،

ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ومن هنا، من هذا المنطلق، ومن أجل ذلك كتبت كتابي هذا؛ لتنبيه الغافلين الشاردين، بحقيقة هذا البلد الأمين، المحفوظ المحروس رغم أنف الحاقدين الخائنين؛ إنها مصر كنانة اللَّه، تسير آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان، بين شهادة ملك الملوك لمن دخلها بالأمان، ووصية النبي ﷺ بالخير لأهلها على مرِّ الزمان، فما ظنك ببلدة تجلَّى ربُّ العزة على جبل من جبالها، ووطأ أرضها موسى الكليم، وعيسى بن مريم، وخليل الرحمن إبراهيم، وابنه جدّ النبي إسماعيل، ويعقوب والأسباط ويوسف الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، وإدريس عليه السلام ولقمان، فبوركت مصرنا بهم بركة متجددة على مرِّ العصور والأزمان، بُوركت تربتها بنيل حليم شقَّ أرضها جنان، عن اليمين وعن الشمال طلعها هضيم، هو نهر من الجنة، يرتوي منه السليم، ويُشْفَى بإذن ربِّه بِهِ السقيم، تلاحقت عليها البركات، مِنْ تجلي الرب الرحيم إلى توالي النبوَّات، إنْ أخطأتها بركة ساندتها أختها درجات وبركات ورحمات، من أرادها بسوء قسم اللَّه ظهره قسمات، يَعْمَهُ بين غيِّه وقسمه في آهات وأنَّات.

حفظك اللَّه يا مصر من كل أفَّاك أثيم، خوَّان للعهد غدَّار لئيم، مستبيح للدماء، مستفيض بالعِداء، مسترسل في الانتماء، لا لدين، لا لوطن، لا لأرض، بل لأعداء الإله والمرسلين الأنبياء، مسترضع ثدي الخيانة والجفاء، إذْ لا فِطام منه ولا ارتواء، لكنَّ بركات الإلهِ تكشف كُلَّ ما أُحِيكَ بها، وتهدم أنواع الدَّهاء.

وأجمع لك شتات ما قيل هنا فأقول: إنَّ جماعة الإخوان تتمذهب بمذهب التقيَّة الرافضي الخبيث الكذوب الخئون الخدَّاع، وذلك من خلال إظهار نفسها بأنها جماعة دعوية اجتماعية لا علاقة لها بالإرهاب، وفي الباطن فهي تُدير دفَّة الإرهاب من خلال ما يُسمِّيه البعض بالإرهاب بالوكالة؛ وليس أدل على ذلك

من الأفعال التدميرية التي قامت بها جماعة أنصار بيت المقدس وكتائب الفرقان وغيرها من الجماعات، كردود أفعال لما حدث للإخوان، وذلك من خلال تصريحات رموز هذه الجماعات بأنها المسئولة عما يحدث من التقتيل والتفجير، لاسيما مع مراعاة توقيت هذه الأفعال.

وظهر ذلك أيضًا جليًّا في حِرْص حكومة الإخوان في هذه السنة على أنْ يُقَرِّبُوا إليهم رموز الجماعات الإرهابية والتكفيرية، كأمثال طارق الزمر، وعاصم عبد الماجد وأمثالهم، بل كانوا يُهَدِّدون بهم خصومهم عن تعمُّدٍ، فنظر العالَمُ لحكومةٍ ترفع قدْر مَنْ اغتال رئيسهم، وسعى في أرضهم فسادًا وإرهابًا، فأيقن المسلمون عامة والمصريون خاصة أنهم أمام جماعة غبيَّة عريقة في الإرهاب.

- **ثالثًا: الحلفُ الصهيوأمريكخواني الخئون:**

قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

وقال -جل وعلا-: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٥٠ - ٥١].

وقال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٢ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢ - ١٨٣].

فلقد أمهل ربُّ العزة -جل وعلا- جماعة الإخوان المسلمين أكثر من ثمانين عامًا، يوهمون الناس أنهم يسعون لتطبيق شرع اللَّه، ويزعمون برغبتهم في قيام الخلافة الإسلامية الرشيدة، حتى غَرُّوا الملايين من المسلمين بذلك، فأحسنوا فيهم الظن، وهم أبعد الناس عما زعموا، بل كانوا ينسجون خيوط الإرهاب العالمي ويؤصِّلون أصوله وأركانه، ابتداءً بالتنظيم الخاص الذي قام بجملة من العمليات الإرهابية على رأسها اغتيال النُّقْراشي باشا، والذي قُتل به حسنُ البنا جزاء وفاقًا لا شهيدًا، ولا محمودًا.

لقد باتت علاقة الإخوان بالماسونية العالمية، باليهود وأمريكا واضحة للقاصي والداني؛ فهذه أمريكا قائدة الإرهاب العالمي على الإسلام والمسلمين؛ تسعى كلَّ السعي لتمكين الإخوان المسلمين من حكم مصر، وقد كان، ثم لمَّا امتنَّ اللَّه على المصريين بحفيدٍ من أولاد قطز المظفر قاهر التتار، فقيَّض اللَّه على يديه الإطاحة بحكم الخوَّان المسلمين، هاجت أمريكا وماجت وظهر عليها ظهور الشمس غضبها الشديد على حليفها في المنطقة.

فطرأ في مُخيلة العقلاء هذا السؤال: أتسعى راعية الإرهاب العالمي لتطبيق شرع اللَّه في الوطن العربي من خلال الإخوان المسلمين، وهي لا همَّ لها إلا إبادة الإسلام والمسلمين، وما يحدث في سوريا خير شاهد على هذا، وما حدث في ليبيا خير شاهد على هذا، وما حدث في العراق خير شاهد على هذا؟!

- **رابعًا: وشهد شاهد من أهلها:**

ثم في هذه الفقرة أبيِّن مدى اهتمام الإخوان الشديد المفرط في زرع الطاعة العمياء الجهولة في أتباعهم.

فهذا علي عشماوي، وهو آخر قيادي للنظام الخاص لجماعة الإخوان المسلمين، وهذا النظام الخاص هو بمثابة الجناح العسكري للجماعة، والمخوّل به القيام بالعمليات الإرهابية، وهو الذي قام باغتيال النقراشي باشا، وتفجير دور السينما، والمحلَّات الخاصة باليهود والنصارى في وقتها، وحريق القاهرة، وغير ذلك من الإرهاب، ثم تاب اللَّه على هذا القيادي وانفصل عن الجماعة، فدوَّن مذكراته وحقائق هذه الجماعة، فكتب كتابه: (التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين)، فقال في هذا الكتاب (ص٧ - ١٤):

«لا رابطة أقوى من العقيدة، ولا عقيدة أقوى من الإسلام»... هذه الصيحة كانت كلمة حق أريد بها باطل، فقد كانت النداء الذي سيطر به الإخوان على شباب هذه الأمة، ثم قاموا بغسل أدمغتهم والسيطرة عليهم يوجهونهم إلى أي

اتجاه يريدون.

ومن هذا النداء انبثقت وسائل السيطرة وهي: البيعة، والسمع والطاعة؛ وذلك أن الشباب حين يدخل إلى الجماعة، لابد أن تكون له بيعة، والبيعة مع مجموعات النظام الخاص، وهو الجهاز السري للجماعة، باستعمال المصحف والمسدس، أما «إخوان السر» وهو النظام المعمول به لربط الإخوان تنظيميًّا فيكون باستعمال المصحف فقط... ويقولون: إن النظام الخاص قد انتهى، ولكنَّ الواقع أنه الآن موجود[1]، فقد سيطر إخوان النظام الخاص على الجماعة، والقيادات أغلبهم من هذا النظام، ولقد نصَّبوا أفراد النظام في القيادة بجميع مناطق العمل في مصر؛ لأنهم يرون أنَّ هؤلاء هم الأقدر على الحركة في الظروف الاستثنائية.... لقد درس الإخوان جميع التنظيمات، حين حاولوا بناء النظام، وقد تأثروا جدًّا بالفكر الباطني في التاريخ الإسلامي[2] حيث كانت التنظيمات العباسية والعلوية والشيعية وما

---

(١) يقول عشماوي هذا الكلام في الطبعة الثانية لهذا الكتاب التي طبعها مركز ابن خلدون بتاريخ (١٢/ ١٢/ ٢٠٠٦)، مع كلام مرشد الجماعة المسجل بالصوت والصورة قريبًا قوله: «إننا نتقرب إلى اللَّه بالنظام الخاص».

● **علاقة الإخوان بالمذهب الباطني:**

(٢) الفكر الباطني هو الكفر كُلُّه، حيث يفسِّرون القرآن تفسيرًا شيطانيًّا لا علاقة له بالدين ولا باللغة من قريب أو بعيد، كما فسَّرت الروافض الشيعة الكفرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ [البقرة: ٦٧] قالوا: البقرة هنا هي عائشة بنت أبي بكر!!!

وهذا الفكر كما قال العلماء نتاج البغض اليهودي للإسلام، فتستَّروا تحت ستارٍ لمواجهة الإسلام، والفكر الباطني نسيج من الأفكار الوثنية والنصرانية واليهودية والفارسية.

ونفس اليهود قد فسَّروا ثوراتهم حسب الفكر الباطني على أسس الفلسفة والمنطق بعيدًا عن معناها المراد منها، وهذا تحريف لدلائل القرآن، وتغيير لأصل الملة.

وهناك صلة قوية بين التقية والباطنية القديمة منذ زمن أفلاطون، الذي كان يعتمد السرية في فكره، فقد كان يورد الفكرة الواحدة بعدَّة عبارات مختلفة أو متناقضة، وسار على ذلك مِنْ=

صاحبها من فرق سرِّية، مصدرًا أساسيًّا تم الرجوع إليه ودراسته والاستنارة

= بعده الباطنيُّون القدماء؛ فلقد كان لحركة الترجمة من اليونانية إلى العربية زمن المأمون العباسي أثر كبير في انتشار الباطنية؛ لأن الأفلاطونية الحديثة كانت هي المصدر الأساسي للتأويل الباطني للنصوص في الكتب السماوية.

ومن المصادر المهمة للفكر الباطني: الباطنية العرفانية كالصابئة، والثنوية، والمانوية، وهم المجوس الذين يقولون: النور خالق الخير، والظلمة خالق الشرِّ، والديصانية، والهرمسية، وهي أفكار إلحادية، وكذلك الإسماعيلية والقرامطة والنصيرية والدروز، وكلها حركات للغلو الرافضي الشيعي الملحد الخبيث الذي يعتمد على السرية وإظهار عكس ما بطن.

ولهذا الفكر تأثير عظيم في واقع العالم الإسلامي، ومن هذه الآثار:

١- كان هدف الحركات الباطنية هو هدم الخلافة الإسلامية وإعلان الإمامة الشيعية.

٢- لفشل هذه الحركات في الوصول إلى هدفها تستَّرت بغطاء فكري ديني يعتمد التأويل والتحريف للإسلام.

٣- تطور الغطاء الفكري للباطنية حتى شمل الفلاسفة والصوفية ووصل للقول بوحدة الأديان.

٤- لا يزال الكثير من دور النشر ينشر الكتب الباطنية الإلحادية، وكذلك مؤسسات الإسماعيلية وغيرها في أمريكا وإفريقيا.

٥- كان للباطنية أثر هدام في المجتمع الإسلامي بنزع الثقة من بين الناس ونشر الخوف والتجسس من أقرب المُقرَّبين مما أعاق مقاومتهم.

٦- عملت الباطنيَّة على نشر الانحلال في المجتمع الإسلامي ليسهل اختراقه.

٧- سعت الباطنية لقتل العلماء حتى يمكن لها الانتشار؛ إذ لا تقوم لهذه الحركات قائمة إلا على الجهل وعدم العلم.

٨- بتمكن الباطنية من إقامة دول حصل انقسام في القوة الإسلامية تجاه الأعداء، مما سهل للأعداء الاستيلاء على كثير من أراضي الإسلام.

٩- كان التحالف مع الأعداء ضد المسلمين هو الوضع الطبيعي للباطنيين.

«الحركات الباطنية في العالم الإسلامي» رسالة دكتوراه، من التمهيد، والباب الرابع من الرسالة بعنوان: «أثر الحركات الباطنية في واقع العالم الإسلامي». فانظر بم تأثر الإخوان المسلمون؟!! فإن الذي يهم الجماعة الوصول بالأفراد إلى السمع والطاعة المطلقة العمياء، كما ذكر المؤلف آنفًا، ولو كان ذلك على حساب كل شيء حتى المعتقد والدين.

بالأفكار الحركية في كل تنظيم على حدة.

وفيها أيضًا كانت هناك وقفة شديدة أمام فرقة الحشاشين أتباع الصباحي، وكان الانبهار من وصولهم إلى حد الإعجاز في تنفيذ آليات السمع والطاعة، وكيف كان الأفراد يسمعون ويطيعون حتى لو طُلب منهم قتل أنفسهم[1].

وكذلك الحركات العالمية الأخرى سواء كانت حركات إجرامية أو حركة سياسية، مثل المافيا العالمية والتنظيمات الفرنسية، وأخيرًا التنظيمات الصهيونية العالمية بما لها من قوة وانضباط واتصالات بجميع القوى السياسية، ومعرفة إخضاع الخصوم والسيطرة عليهم أو تصفيتهم.

قال علي عشماوي: ولقد كان للأستاذ سيد قطب تعليق على ذلك قال: إنَّ أي تنظيم يطبع أفراده بصفته، أيْ أنَّ التنظيم لو كان إجراميًّا خرج الأفراد

---

(١) **الإخوان والحشاشون**:

إن من شعارات فرقة الحشاشين: لا حقيقة في الوجود، وكل أمر مباح.

وقد تميزت هذه الطائفة باحتراف القتل والاغتيال لأهداف سياسية ودينية متعصِّبة؛ وذلك عن طريق تدريب الأطفال على الطاعة العمياء، والإيمان بكل ما يُلقى إليهم، وعندما يشتدُّ ساعدهم يدرِّبونهم على الأسلحة المعروفة، لاسيما الخناجر، ويعلمونهم الاختفاء والسرِّية، وأن يقتل الفدائي نفسه قبل أن يبوح بكلمة واحدة من أسرارهم، وبذلك أعدوا طائفة الفدائيين التي أفزعوا بها العالم الإسلامي آنذاك؛ باغتيالات واسعة شملت كبار الشخصيَّات المناوئة للإسماعيليين من ملوك، وقادة جيوش، وعلماء، ودعاة.

ودخلت كلمة الحشاشين بأشكال مختلفة في الاستخدام الأوربي بمعنى القتل خِلْسَة أو غدرًا، أو بمعنى القاتل المحترف المأجور، وفي أصلهم يذهبون إلى إمامة المستنصر باللَّه الفاطمي اليهودي، ومؤسسهم الحسن بن الصبَّاح، الهالك (٥١٨هـ) والذي اتخذ قلعة آلموت بفارس - إيران الآن- مركزًا لنشر دعوته، وللحشاشين أتباع إلى الآن في إيران، ولبنان واليمن وهي الأماكن المنتشر فيها دين الروافض الخبيث (الحشاشون فرقة ثورية من تاريخ الإسلام، برنارد لويس، الموسوعة الميسرة (١/ ٤٠٣ - ٤٠٨)، الموسوعة المفصَّلة في الفرق والأديان (١/ ١٦٩ - ١٧١)، فاضمم هذه الفرقة إلى أختها الباطنية لتعلم من هم الإخوان؟

مجرمين، وإذا كان صهيونيًّا خرج الأفراد معجبين بالصهيونية، وكان يعلم أنَّ قيادة التنظيم الخاص كانت مخترقة من الأجهزة الغربية الاستعمارية وتعمل لحسابها، وأنَّ جميع الأعمال الكبرى التي يتفاخر بها الإخوان في تاريخهم قد تم تفريغها من نتائجها، فمثلًا حرب فلسطين التي يفخر بها الإخوان باستمرار، فإنهم لم يدخلوا إلا معارك قليلة جدًّا فيها، ثم صدرت من الشيخ محمد فرغلي الأوامر بعدم الدخول في معارك؛ بحجَّة أنَّ هناك مؤامرة لتصفية المجاهدين؛ ولكن هذا كان مبرره في الاساس لحماية اليهود من إحدى القوى الخطيرة إذا استعملت، وتم تنفيذ الأوامر، وظل الإخوان في معسكرهم لا يحاربون إلى أنْ عادوا من فلسطين.

ومثلًا، هناك واقعة حادث فندق الملك جورج بالإسماعيلية، وقد كان هذا الفندق يعجُّ بالإنجليز وبالجواسيس من جميع الأشكال، وقد أراد الإخوان ضرب هذا الفندق، ولكن حين تم التنفيذ، تمَّ إفراغ العملية من أيِّ تأثير ضار بالإنجليز، وكان من نتيجة ذلك أنْ قُتل منفذ العملية دون أدنى ضرر بالإنجليز.

وموضوع آخر أكثر غرابة، فقد نشط بعض الإخوان المتحمسين -من غير إخوان النظام- في عمليات خاصة، من هؤلاء إخوان مصر الجديدة، وكانت لديه درَّاجة ومسدس[1]، فكان يركب درَّاجته وينتظر اليهود أمام بيوتهم بمصر الجديدة، ثم يطلق عليهم الرصاص وينطلق بدراجته، فقتل البعض وأصاب آخرين، وكان ذلك في أغسطس (١٩٤٨م) فما كان عبد الرحمن السَّنَديّ -وهو قائد التنظيم الخاص- إلَّا أنْ أصدر تعليمات بالبحث عمن يفعلون ذلك ومنعهم من أيّ عمل مماثل.

(١) وهي نفس الوسيلة التي يستخدمها الإخوان الآن؛ في اغتيال أفراد الشرطة في الأكمنة المختلفة، وتتبع القادة والضباط، وما أشبه الليلة بالبارحة؛ تغيَّرت الأشخاص والفكر واحد لا يتغيَّر.

بدات أراجع جميع أعمال الإخوان، والتي كانوا يعتبرونها أمجادًا لهم، بعد معرفتي بعلاقات العمالة والتبعية من بعض قادة الإخوان للأجهزة الغربية الصهيونية، والتي أكدها لي المرحوم الأستاذ سيد قطب، من أنَّ عبد الرحمن السندي والدكتور محمد خميس - والذي كان وكيلًا للجمعية في عهد الأستاذ حسن الهضيبي- وأنَّ أحد أصحاب المطابع الكبرى، والذي كان أحد كبار الإخوان، كان[1] عميلًا للمخابرات الإنجليزية.

أما تجربتي الشخصية والتي سمعتها من صاحب الشأن، وهي أنني التقيت في عنبر السجن الحربي بالدكتور: م. ع. ف. رئيس مكتب إداري بإحدى المحافظات الكبرى في مصر بكل ما فيها، قال: إنه كان في نهاية كل إسبوع دائمًا يذهب بصحبة زوجته - والتي وصفها بأنها كانت من أجمل نساء الأرض- كان يذهب كل إسبوع إلى الإسماعيلية حيث يسهر مع الضبَّاط الإنجليز هو وزوجته، ويقضون الليل في الرَّقص ولعب البريدج، وكان يقول: إن الشيء الذي يتعب شباب الإخوان هو تفكيرهم الدائم في الجهاد، وكان من السهل قيادتهم حين تحدثهم في هذا الأمر.

هكذا نرى الضرر الفادح الذي يلحق الساذجين الذين ينتمون إلى مثل تلك التنظيمات، فهم مخلصون، وقادتهم عملاء يتصرَّفون فيهم بلا أمان ولا رقابة، ودون أيِّ تقوى من اللَّه الذي يبايعون الأفراد على طاعته والالتزام بأمره، فيطيع الأفراد، ويضلُّ القادة، ويستعملون الأفراد في غير طاعة ولا خوف من اللَّه، وحين يتصادف ويواجههم رجل واعٍ يريد أن يناقش وأن يفهم مثل ما فعل السكريُّ ومِنْ بعده مصطفى مؤمن، فيكون مصيرهم الفصل من الجماعة.

لقد أُصبت بإحباط شديد وغضب وثورة داخلية تكاد تقتلع قلبي من مكانه،

(١) هكذا في الأصل، والذي يقتضيه السياق: كانوا عملاء؛ لأنه ذكر ثلاثة أشخاص، وسيظهر هذا من بقية كلامه الآتي.

حزنًا على عمري الذي أضعته كله مع هذه الجماعة وقررت الانسحاب.

وتتالت الفتاوى في حقِّي بالتكفير تارة وبالنفاق أخرى، ورأيت وعشت كيف تخرج الفتاوى من ترزيَّة هذا النوع من الفقه، وساعد على قسوة الأمور، ما صاحب الفتاوى من سمع وطاعة من أفراد الجماعة دون أن يُعمل أحدهم فكره ويعترض[١].

حتى بعد أن خَرَجْتُ من السجن وجدتهم قد ألَّفوا كتبًا كثيرة تقول عليَّ الكثير من التشهير والسَّبِّ، وحين تركت لهم المنطقة كلها وذهبت إلى أمريكا، وجدت التعليمات إلى الإخوان في أمريكا قد سبقتني إلى هناك[٢].

وهكذا، فهم يُجيدون إيذاء كل من وقف معهم فترة من الزمن؛ إذا حدث واختلف معهم مرة؛ فقد ساعدتهم السعودية وقطر والكويت والكثير من الدول

---

(١) هذا هو أصل الداء، فأفراد جماعة الإخوان يطيعون قادتهم طاعة مطلقة لا ينبغي أن تكون إلَّا للَّه وللرسول، وهذه الطاعة المخالفة للَّه والتي جعلوها لغير اللَّه؛ بجهلهم بمعنى العبودية ومعنى لا إله إلا اللَّه، وذلك ثمرة تأثير الفكر الباطنيِّ والحشاشيِّ، كما مرَّ آنفًا.

(٢) وهذا أمر بيِّن يُبرهن للبصير أنَّ جماعة الإخوان قوم بُهت؛ كحليفهم اليهود؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤]؛ فكما هو معلوم عن الصحابي الجليل عبد اللَّه ابن سلام رضي الله عنه أنه كان من علماء اليهود وأحبارهم، وتشهد له اليهود بذلك؛ فلما أسلم سبُّوه وسفهوه؛ **روى البخاري في صحيحه (٣٩٣٨) من حديث أنس** رضي الله عنه «أنَّ عبد اللَّه بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ... (وفيه قال عبد اللَّه): أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأنك رسول اللَّه، قال: يا رسول اللَّه إنَّ اليهود قوم بُهت فاسألهم عنِّي قبل أن يعلموا إسلامي، فجاءت اليهود، فقال النبي ﷺ: «**أي رجل عبد اللَّه بن سلام فيكم؟**» قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا، فقال النبي ﷺ: «**أرأيتم إن أسلم عبد اللَّه بن سلام؟**» قالوا: أعاذه اللَّه من ذلك، فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك، فخرج إليهم عبد اللَّه فقال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأنَّ محمدًا رسول اللَّه، قالوا: شرُّنا وابن شرِّنا. وتنقصوه، قال: هذا كنت أخاف يا رسول اللَّه». ومعنى البُهْت: أي: الكذب والافتراء، وهو جمع بَهُوت، أي: أنهم قوم كذابون مفترون بالباطل على من خالفهم من غير حرج ولا حياء ولا بيِّنة. (النهاية لابن الأثير (١/ ١٦٢) بتصرف.

العربية، فما كان منهم إلا أن أساءوا إليهم وطعنوهم وانقلبوا عليهم، كما كانوا يفعلون مع الأحزاب التي كانوا يتحالفون معها، فعلوا ذلك مع الدول التي آوتهم وأحسنت وفادتهم.

وكما قلت، كان مدرِّسو الإخوان في جميع هذه البلدان يُجنِّدون الشباب ويشحنونهم ضد حكامهم وبلدانهم، حتى ينقلبوا عليهم، وكلما وجدوا فرصة للانقضاض انتهزوها؛ والإخوان في العراق قد وقفوا مع أمريكا، وكان مندوبوهم متعاونين للغاية في مواجهة محاولة السيطرة على مقدَّرات العراق داعمين جميع خطط الأمريكيين التي تُنفذ الآن[1]، إنه البحث عن المصلحة والجري خلف السلطة.

ولقد اكتوت السعودية أيضًا بنارهم الآن؛ فإنَّ الذين يقومون بعمليات التفجير والقتل وإشاعة الفوضى هناك هم تلاميذ أساتذة الإخوان، وقد صرح سُمُو الأمير نايف وزير الداخلية منذ مدة وجيزة، أنَّ وجود الإخوان في المملكة قد أحدث أشد الضرر بالبلاد» اهـ.

- **وشهد شاهد من قادة وأهم أهلها:**

ثم يقولون: إنَّ الذي يُفجِّر مديريَّات الأمن وأقسام الشرطة، هم الحكومة والشرطة أنفسهم!!!

فهل هناك أصرح وأوضح وأبْيَنُ من هذا البيان؟! ولولا خوف الإطالة لأمتعت أعينكم بما تُشفَى به القلوب من حقيقة هذه الجماعة الخائنة المجرمة، التي لا تَرْقُبُ في مؤمنٍ إلَّا ولا ذمة.

فأين معتصمو رابعة والنهضة المغيَّبون المرضى المنساقون بدون وعي

(١) وهو نفس ما يحدث الآن من الإخوان في سوريا لإسقاطها وتدمير جيشها؛ تنفيذًا لرغبة أمريكا واليهود.

ولا فهم ولا فكر إلى حتفهم، إلى ميتة الجاهلية؛ حين يخرجون عن جماعة المسلمين وينقادون إلى قيادات قد باعت الدين والوطن والمسلمين، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

فبعموم اللفظ لا بخصوص السبب، تُنزَّل هذه الآية على هؤلاء الذين يُساقون إلى الموت والسجون من المسلمين وهم لا يعقلون ولا يفهمون.

إنَّ من أخطر الأسباب التي تؤدي إلى هلاك الأمم: الجهل.

فقد روى البخاري في صحيحه (٥٢٣١) ومسلم (٢٦٧١) من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال:

«**إن من ورائكم أيامًا ينزل فيها الجهل** (وفي رواية) **يُبثُّ فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج**» قالوا: يا رسول اللَّه، وما الهرج؟ قال: «**القتل**».

فربط ﷺ بين الجهل و القتل، والقتل إنما يكون في الفتن، التي أصلها الجهل.

وروى عبد الرزَّاق الصنعاني في مصنَّفه في كتاب الفتن (٢٠٧٤٣) عن سُليم ابن قيس الحنظلي قال: خطب عمر فقال: «إنَّ أخوف ما أتخوَّف عليكم بعدي أنْ يُؤخذ الرجل منكم البريء فيؤشر بالمنشار كما يؤشر الجزور[١]، ويشاط لحمه كما يُشاط لحمها، ويُقال: عاص، وليس بعاص.

فقال عليٌّ وهو تحت المنبر: ومتى ذلك يا أمير المؤمنين؟ أو بما تشتدُّ البلية، وتظهر الحمية، وتُسبى الذرية، وتدقهم الفتن كما تدق الرحى ثِفْلَها، وكما تدق النار الحطب؟ قال: ومتى ذلك يا علي؟ قال: إذا تُفقِّه لغير الدين، وتُعُلِّمَ لغير العمل، والتُمست الدنيا بعمل الآخرة».

---

(١) الجزور: أي الجمل.

يقولون: الإسلام هو الحل!!! فأي إسلام أراده الإخوان، هل أرادوا معنى الإسلام اللغوي، وهو الاستسلام والانقياد لغير اللَّه من اليهود والأمريكيين؟! أم أرادوا استسلام من يدخل في جماعتهم بحيث يسمع ويطيع للطواغيت والجبوت من دون اللَّه، تحت شعار الإسلام والشريعة؟!.

كذلك روى الصنعاني في المصنَّف في كتاب الفتن (٢٠٧٤٢) عن عبد اللَّه ابن مسعود ﷺ **قال**: «كيف بكم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، يتخذها الناس سُنة، إذا تُرك منها شيء قيل تركت السنة، قالوا: ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟! قال: إذا كثرت جهالكم، وقلَّت علماؤكم، وكثرت خطباؤكم، وقلت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلَّت أمناؤكم، وتُفقِّه لغير الدين، والتُمست الدنيا بعمل الآخرة».

آه يا ابن مسعود! فما أفقهك، وما أصوبك، وما أبصرك!؛ وكأنك معنا في زماننا قد رأيت ما يحدث من الخوان المسلمين؛ فصعدت منبر المسلمين لتلقِّنهم حجتهم وتبصِّرهم بما لم يدركوا.

لقد قَطَّعَ الجهلُ الذريعُ الإخوانَ المسلمين قادةً ورموزًا وأتباعًا، وما انشق منها من جماعات، حتى جهلوا أصول التوحيد، فوالذي نفسي بيده، ما اثَّرت قيادات الإخوان في أتباعهم، إلَّا من جهل القادة ومكرهم؛ وجهل الأتباع الغفيرة؛ إلَّا من كثرة الجهال، وقلة العلماء والفقهاء، وكثرة خطباء الفتنة والتهييج الذين يعلمون أنهم يُخاطبون أقوامًا لا تعرف دينها، وتفقُّه هؤلاء لغير الدين، بل للدنيا والمناصب والسياسة، ومن أجْل ذلك تُغيّر الملة ولا حرج، وتُنقض عرى الإسلام ولا حرج، وينشأ الولاء والبراء على غير اللَّه ورسوله ولا حرج، فيُحلَّل الحرامُ ويُحرَّم الحلالُ، ويُتقرَّب إلى اللَّه بالخطيئة والبدعة والشرك والإلحاد ولا حرج.

ومع ذلك، فمهما أتى القادة والأتباع والجماعات من خروق عقدية، فهم

عند أهل السنة مسلمون.

فإلى متى يرضى رجال الأُمَّة وشبابها أن يُساقوا كالقطيع، لا علم لهم ولا فهم ولا وعي، وما هو إلا حسن الظن بخطباء الفتنة أشد من حسن ظنهم بالله؟! فتمرَّد على نفسك الخبيثة الأمارة بالسوء أن تكون إمَّعة تذهب مع كل ريح.

واستمع إلى أصل الفتن من خبيرها بلا منازع بين الصحابة، وهو العالم الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه**، فيما رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف في كتاب الفتن (٣٨٤٤٧) حيث قال لصاحبه**: «أما عرفت دينك يا أبا مسعود! قلت: بلى، قال: فإنها لا تضرُّك فتنة ما عرفت دينك، إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحقُّ والباطل فلم تدْر أيَّهما تتبع، فتلك الفتنة».

وأفراخ الإخوان بين السمع والطاعة المطلقة العمياء، ومن نأى بنفسه منهم ترك الطاعة العمياء وأخذ بقول بعض المشايخ تقليدًا، وهذا التقليد عند هؤلاء أيضًا أعمى، لا يسمح لنفسه الخروج عن أقوالهم، فكان في تقليدهم أيضًا سمع وطاعة، كما قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

قال القرطبي في تفسيره (٨/ ٤٤):

«قوله تعالى: ﴿أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ قال أهل المعاني: جعلوا أحبارهم ورهبانهم كالأرباب حيث أطاعوهم في كل شيء؛ ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا﴾ [الكهف: ٩٦] أي: كالنار، قال عبد اللَّه بن المبارك:

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

روى الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البَخْتَريِّ قال: سُئل حذيفة عن قول اللَّه ﷻ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ هل عبدوهم؟ فقال: لا، ولكن أحَلُّوا لهم الحرام فاستحلوه، وحرَّموا عليهم

الحلال فحرَّموه» اهـ.

• **هذا هو حال الإخوان وأتباعهم مع الرموز والرؤساء، فهم لم يعبدوهم، ولكن أطاعوهم في معصية اللَّه.**

قال ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ١٤):

«قال الشافعي -قدَّس اللَّه روحه-: «أجمع المسلمون أنَّ من استبانت له سُنَّةُ رسول اللَّه ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس.

وقال أبو عمر وغيره من العلماء: أجمع الناس أنَّ المقلد ليس معدودًا من أهل العلم، وأنَّ العلم معرفة الحق بدليله» اهـ.

قلت: وليس المراد بمعرفة الحق بدليله هو فهم هذا الدليل فهمًا خَلَفِيًّا، بل بالفهم السلفي الصحيح، فلا نخرج في معرفة مراد الأدلة من الكتاب والسنة عن فهم الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان من أئمة هذا الدين، إذ هم خير الناس بنص كلام المصطفى ﷺ، وبعموم اللفظ هي خيرية في كل شيء: في الفهم والعلم والحفظ والعمل والمعتقد وغير ذلك، وهذا ما أقرَّه ابن القيم في إعلام الموقعين أيضًا (٤/ ١٣٦) وانظر السلفية والسفيون على ميزان الشريعة لراقمه، **فقد روى الآجري في الشريعة (٢٠٣٨) و ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٢٨٥) (المختصر) عن عبد اللَّه بن مسعود قال**: «من كان مستنًّا فليستن بمن قد مات؛ فإنَّ الحي لا يؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرَّها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم اللَّه لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوا آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم».

روى ابن عبد البر جملة من الآثار في الفقيه والمتفقه في غاية الجودة تحت باب: تعظيم السنن والتسليم لها والانقياد إليها وترك الاعتراض عليها (١/

١٤٣ - ١٥٠) منها عن عروة بن الزبير قال لابن عباس: «أضللت الناس، قال: وما ذاك يا عُرية؟ قال: تأمر بالعمرة في هؤلاء العشر، وليست فيهن عُمرة، فقال: أولا تسأل أمك عن ذلك، فقال عروة: فإنَّ أبا بكر وعمر لم يفعلا ذلك، فقال ابن عباس: «هذا الذي أهلككم، واللَّه ما أرى إلا سيعذبكم، إني أحدثكم عن النبي ﷺ وتجيئوني بأبي بكر وعمر؟!» فقال عروة: هما واللَّه كانا أعلم بسنة رسول اللَّه ﷺ وأتبع لها منك.

قلت (أبو عمر): قد كان أبو بكر وعمر على ما وصفهما به عروة، إلَّا أنه لا ينبغي أن يُقلد أحد في ترك ما ثبتت به سنة رسول اللَّه ﷺ» اهـ.

فهذا هو منهج النجاة، منهج سلفنا الكرام رضي اللَّه عنهم أجمعين، ما ضلَّت الأمة إلا من بعد ما جاءهم العلم عنهم ثم أعرضوا عنه وعنهم، وأخذوا بآراء الطواغيت والجبوت، وتركوا الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥] فإنما سيُسأل الناسُ عن الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٤٧ - ٥٢].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

واقرأ إنْ شئت في كتاب سر المعبد الأسرار الخفية لجماعة الإخوان المسلمين، الفصل الثاني عشر: «الماسيوإخواكية» (ص٢٢٩ - ٢٣٨) لثروت

الخرباوي القيادي الإخواني المنشق، حيث قال في آخر هذا الفصل:

«يا ربي!! المسألة أكبر مما كنت أتوقع، بل أكبر من أي توقع لأي فرد سليم الطوية، هذا خليط بشري مكون من الماسونية، والإخوانية والأمريكية «ماسيوإخواكية». هذا مصطلح سياسي جديد» اهـ.

فهذه شهادة أخرى لقيادي إخواني منشق عنهم وهو: ثروت الخرباوي المحامي، وقد تلفظتُ باسم هذا الحلف «الصهيوأمريكخواني» في بعض خطبي وكتبي قبل أن أقف على كلام الخرباوي، وظاهرٌ التشابه بينهما، وإنْ كان مصطلح الخرباوي يكتنفه بعض الغموض، ولكن المهم: صحة النسبة إليهم بشهادة بعضهم عليهم، وهذا الرجل إخواني صوفي أشعري مبتدع، وإنما ذكرت كلامه؛ استشهادًا منهم عليهم.

وممن شهدوا على الإخوان بالتعامل مع الماسونية: رمز كبير وإخواني قد انشق عنهم وهو: محمد الغزالي المبتدع المصري، شهد بذلك في أكثر من كتاب له مثل كتاب: ملامح الحق، وكتاب: من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث، الطبعة الثانية (١٩٦٣م) دار الكتب الحديثة مصر، شارع الجمهورية.

ولكن الطبعات التي أتت بعد ذلك حُذف منها كل ما يدين الإخوان من كلامه، وهذه عادة الإخوان: الغش والخيانة، ومحاربة كل من نقض منهجهم، كما قصَّ علينا ذلك أحد قاداتهم وهو علي عشماوي كما مرَّ آنفًا.

ولقد فضحهم محمد الغزالي وهو من علمائهم ورجل منهم، فاتَّهم سيد قطب بالماسونية، واتَّهم حسنًا الهضيبي المرشد العام للجماعة بالماسونية، واتهم مصطفى السباعي القائم بأعمال الإخوان في سوريا بالماسونية، كما في كتابه ملامح الحق، وكتابه: من معالم الحق في كفاحنا، وهذا الذي نقله عنه ثروت الخرباوي في كتابه: سرّ المعبد، ويكفي ما قاله علي عشماوي في

كتابه: التاريخ السري، وقد مرَّ الكلام مفصَّلًا.

وهذا نص كلام الغزالي كما في كتابه: من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث، الطبعة المشار إليها آنفًا قبل أن يحذف ذلك الإخوان، قال:

«استقدمت الجماعة رجلًا غريبًا ليتولَّى قيادتها، وأكاد أوقن بأنَّ من وراء هذا الاستقدام أصابع هيئات سرية عالمية أرادت تدويخ النشاط الإسلامي الوليد، فتسلَّلت من خلال الثغرات المفتوحة، ولقد سمعنا كلامًا كثيرًا عن انتساب عدد من الماسون من بينهم الأستاذ: حسن الهُضيبي نفسه المرشد لجماعة الإخوان، ولكني لا أعرف بالضبط كيف استطاعت هذه الهيئات الكافرة بالإسلام أن تخرق جماعة كبيرة على النحو الذي فعلته، وربما كشف المستقبل أسرار هذه المأساة» اهـ.

وكذلك رأيت هذا الكلام في طبعة دار الشهاب.

وقال في كتابه ملامح الحق: «إنَّ سيد قطب منحرف عن طريقة البنا، وأنه بعد مقتل البنا وضعت الماسونية زعماء لحرب الإخوان المسلمين وقالت لهم ادخلوا بينهم لتفسدوهم، ومنهم سيد قطب» اهـ.

قلت: بل كان ذلك قبل مقتل البنا.

وأنا أقول: إنَّا لسنا في حاجة للتأكد من حقيقة هذه العلاقة بين الإخوان وأمريكا واليهود، بعدما رأينا مصائب الإخوان في السَّنة السوداء التي قفزوا فيها على حكم مصر واغتصبوه، ويظهر ذلك جليًّا في مقابلات وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة والأسبق منها، وفي حرص كاثرين أشتون على مقابلة رموز الإخوان أكثر من مرَّة، وسعي أمريكا الحثيث لأن يتولى الإخوان الحكم في مصر؛ وغضبها العارم عندما أُطيح بالإخوان، وحرص حكومة الإخوان لدخول إيران إلى مصر، مع معرفة العلاقة الحميمة بين الشيعة واليهود

وأمريكا، حيث ما خرجت أمريكا من العراق حتى مكَّنت الروافض من حكم البلاد.

حتى خرجت مذيعة أمريكية على برنامج في التلفاز الأمريكي تنتقد رئيس أمريكا أوباما نقدًا شديدًا ومضمونه: كيف لك أن تساعد الإرهاب في مصر بمعاونتك للإخوان؟!.

وهذا الأمر هو الذي جعل أوباما يعترف في الاستجواب الذي كان له في الكونجرس الأمريكي، أنه قال: إنَّ الإخوان المسلمين كانوا على استعداد تام لتنفيذ كلِّ ما تريده أمريكا في مصر وفي المنطقة.

وقد حدث ذلك بعد الإطاحة بالإخوان وحكومتهم، وإنما قال ذلك في سياق تبريره لمساعدة الإخوان بالمليارات الثمانية.

وهذه الأمور أصبحت من المعلومات التي يعرفها معظم المصريين، لا يشكون فيها، ولا يتردَّدون في صحتها، بل يكادون يجزمون بها.

وأضف إلى ذلك، قناة الجزيرة التي يعلم القاصي والداني أنها قناة اليهود وأمريكا في المنطقة، وادخل على شبكة النت لتعلم مدى ماسونية صاحب هذه القناة، ولتعلم كلام المذيعين الذين انفصلوا عن القناة لمَّا عرفوا مدى تورّطها مع اليهود ضد مصلحة المسلمين، فهذه القناة الآن مُجنَّدة لمصلحة الإخوان، تُثير الاضطرابات والفتن بما تذيعه وتبثُّه، محاوِلةً التشكيك في شرعية الحكومة الحالية، وتقوم بالتهييج عليها كل ساعة، وقد أوتْ إليها رموز الإرهاب كعاصم عبد الماجد وطارق الزمر، في جملة أمور بيِّنة تؤكد علاقة الإخوان بالماسونية العالمية.

لقد خان الإخوان المسلمون اللَّه والرسول والدين والوطن والمسلمين والناس أجمعين، فلا راعوا حرمة نفس ولا مسلم، ولا إسلام، ولا عهد، ولا ذمة، ولا قرابة، ولا صغير، ولا كبير، ولا عجوز، ولا مسجد

ولا أرض، ولا مال ولا عرض، وأفسدوا في الأرض بكل أنواع الإفساد، وفتنوا الناس والعباد، وخرَّبوا المرافق والمصالح والبلاد، فليسوا منَّا ولسنا منهم؛ أمَّا دينهم فباعوه، فأفسدوا الدعوة إلى اللَّه في المستقبل القادم ثمانين سنة، كمدَّة وجودهم في الشارع المصري والعربي، فلقد كاد المسلمون أن ينخلعوا من دينهم كرهًا وبغضًا في القوم المفسدين، الذين هم أمام العالم رجال الدعوة إلى اللَّه!!!!

وأمَّا بلدهم ووطنهم فخانوه وهدَّموه وما راعوه، بل ضربوه، وخرَّبوه، ودمَّروه، وسَعَوْ سَعْيًا حثيثًا لسقوطه، بل نُحِرُوا على أرضه بسكين بارد، وذبحوا أنفسهم بأيديهم، فما أحْسَنُوا الذِّبْحة، ولا أتقنوا القِتْلَة، ويحيى الدين والإسلام والبلد الأمين رغم أنف الخائنين، وللَّه الأمر من قبل ومن بعد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد للَّه رب العالمين.

- **شبهة والردُّ عليها:**

اعلم أنَّ منهج الطاعة العمياء الذي ربَّى الإخوان أتباعهم عليه، لهو حائط الصد المنيع الذي يجعل أفراخ الإخوان صمًّا بكمًا عميًا عن الحق وسماعه وقبوله وفهمه؛ فتجد ردود أفعالهم هي: ردُّ الحجج الشرعية بالعقل والاستشهاد بالواقع العملي الظاهر أمام أعينهم، من غير رؤية هذا الظاهر من منظور الكتاب والسنة والأدلة الشرعية، بل من خلال رموزهم ورؤوسهم.

وليس هذا هدي السلف، وإنما يريد هؤلاء جذب خصومهم إلى طريقتهم الفاسدة في الاستدلال على ما يفعلونه، فإذا انجرَّ إليهم المرء هلك؛ فلربما أراد أحد الطيِّبين هدايتهم فيُخطئُ السبيل فيكلمهم بلغتهم، فينجرّ إلى مستنقع السياسة غير الشرعية؛ فيخاطبهم بها؛ رغبة منه في هدايتهم؛ وهذا هو الضلال؛ وإنما حال هذا المنجذب إلى أساليبهم، كحال المعتزلة والمتكلمين الذين خاضوا في علم الكلام والفلسفة والمنطق، رغبة منهم في هداية مثل

هؤلاء بلغتهم، فما كان إلا أن أثَّرت فيهم الفلسفة والمنطق وعلم الكلام ففسدت عقيدتهم وما اهتدى القوم وكذلك الحال هنا؛ وإنما لا يُناقش أيُّ خصم في دين اللَّه إلا بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة بحسب، وكل جدال آخر بالحق لابد وأن يكون من خلال ذلك.

ومن أمثال هذه الشبهة التي يواجهها الدعاة إلى اللَّه على بصيرة، إذا هم دَعَوْا إلى نُصرة الجيش والشرطة وحكومة البلاد، والدعوة إلى الاستقرار وعدم الفوضى، أنْ يقول هؤلاء المُغَرَّر بهم: ألا تنظر إلى ما تفعله الشرطة مع الإخوة من الاعتقال والتعذيب وكذا وكذا، وما تفعله الحكومة من كذا وكذا، ومساندة الجيش لها، وإن الذي يحدث من الإرهاب ردُّ فعل لهذا الظلم والجَوْر!! وما سألوا أنفسهم: لماذا تفعل الحكومة هذا؟ فإذا نظر البصير إلى هذه الكلمات يعلم ويرى فيها فكر ومنهج الخوارج والروافض، كما هو منهج اليهودي المتمسلم عبد اللَّه بن سبأ، الذي أجَّج المسلمين على عثمان ابن عفان ﷺ حتى ذُبح بتأثير هذا التهييج من الوريد إلى الوريد، ثم كانت الفتن العظام في الجمل وصفين.

وإنما أُمرنا بحسن معاملة الحكام وأولياء الأمور، والصبر والستر عليهم، وعدم التشهير بأخطائهم، وبالدعاء لهم والدفاع عنهم بما لا يخالف الأدلة الشرعية.

وعليه، فإذا دُفعت إلى خصام مع بعضهم، ولا فكاك لك منه إلا أن تجادل، فجادل بالتي هي أحسن، والتي هي أحسن هي المجادلة بالحق بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وقل لهم: نحن قوم لا نُحسنُ التكلم في السياسة، فمن أراد التكلم معنا فبالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وإلا فلا كلام بيننا وبينكم؛ فإنَّ منهجنا: إذا جاء الحديث عن رسول اللَّه فلا نضرب له الأمثال.

ولقد فصَّلت القول عن القوم المجرمين الخوارج في كتابي (الجيش المصري) فأغنى عن الإعادة هنا .

● **خاتمة اللَّبِنَة: الإخوان المسلمون والخيانة العظمى:**

لقد كَفَّر الإخوان المسلمون والجماعات في مصر من قبل، السادات؛ لما عقد اتفاقية السلام مع إسرائيل، وقد رجعت سيناء إلى مصر بهذه الاتفاقية، وللرجل على ما فعل دليله من السنة، وهو صلح الحديبيَّة، والحديث في البخاري، ومن ثم فقد أصاب السنة باتفاقيَّته .

والإخوان المسلمون لما وصلوا إلى الحكم نفذوا المخطط الصهيوأمريكي؛ فباعوا سيناء لحماس واليهود، وباعوا حلايب وشلاتين للسودان، وباركوا وسعوا لتنفيذ مشروع السد الإثيوبي، سدِّ النقمة والخراب العام لكل مصر؛ بتجفيف نهرها، وهلاك حرثها ونسلها، وتمويت أهلها وأنعامها عطشًا، وتبوير أراضيها، وتعطيل مصانعها لانعدام الكهرباء، وقد آتى سدُّ الهلاك والهدم والتدمير أُكُلَه هذه الأيام، فلزمهم على منهجهم تكفير رموزهم وأنفسهم؛ لما قاموا به من الخيانة العظمى؛ فإنَّ ما فعلوا يعادل أضعاف ما فعله ابن العلقمي والطوسي؛ لمَّا مكَّنوا للتتار في قتل مليونين من المسلمين؛ فإنَّ سدَّ النقمة قد أوشك أن يهلك عشرات الملايين بمصر - حفظها اللَّه من مكر الماكرين وخيانة المجرمين -وقد فصَّلت القول في هذا السد قبل في كتابي: (صرخة نذير) ولا حول ولا قوة إلا باللَّه، وإنا للَّه وإنا إليه راجعون.

* * *

اللَّبنة الثالثة
مشروعية محبُّة الوطن وضوابط ذلك

وهذه اللَّبنة كانت من الأهمية بمكان؛ لبيان حُبِّ الوطن في الكتاب والسنة إكمالًا للتبيان، وذلك من خلال بضع نقاط:

- **أولًا: في معنى الوطن:**

الوطن: المَنْزِلُ تُقيم به، وهو موطن الإنسان ومحلُّه، والجمع: أوطان، وأوطان الغنم والبقر مرابضها وأماكنها التي تأوي إليها، وأوطنت الأرض ووطَّنْتُها توْطينًا، ووطَّن بالبلد: اتخذه محلًّا وسكنًا، واستوطن الأرض أي: اتخذها وطنًا، وكذلك الاتِّطان، وهو افتعال منه. (لسان العرب (٤٥/ ٤٨٦٨)، الصحاح للجوهري (٥/ ٢٢١٤)، المعجم الوسيط: (ص١٠٧٢) مادة وطن).

وقال الجرجاني في التعريفات (ص٢٢٦): «الوطن الأصلي: هو مولد الرجل والبلد الذي هو فيه، ووطنُ الإقامة: موضع ينوي أن يستقر فيه من غير أن يتخذه مسكنًا» اهـ.

وقال ابن الأثير في النهاية (٥/ ١٧٧): «يقال: أوطنت الأرض ووطَّنْتُها واستوطنْتُها: أي: اتخذها وطنًا ومحلًّا» اهـ

وقال الفيوميُّ في المصباح المنير (ص: ٣٤٨): «الوطن: مكان الإنسان ومقرُّه، ومنه قيل لمِرْبِضِ الغنم وطن» اهـ.

- **ثانيًا: الاستدلال على مشروعية حبِّ الوطن من الكتاب والسنة الصحيحة:**

قال البيهقي في كتابه (المحاسن والمساوئ) (ص١٧٤ - ١٧٥):

«محاسن الحنين إلى الوطن: قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦] فقرن -جل ذكرُه- الجلاء عن الوطن بالقتل، وقال -جل وتعالى-: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦] فجعل القتال ثأرًا للجلاء.

وقال النبي ﷺ: «**الخروج من الوطن عقوبة**»(١).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لولا حبُّ الوطن لخرب بلد السوء.

وكان يقال: بحبِّ الأوطان عُمِّرت البلدان.

وقال جالينوس: يتراوح العليل بنسيم أرضه، كما تتراوح الأرض الجدبة ببلل المطر(٢).

وشبَّه العربُ والحكماءُ الغريبَ باليتيم اللطيم الذي ثكل أبويه، فلا أم تَرْحَمُ له، ولا أب يَحْدبُ عليه، وكان يقال: الغريب عن وطنه ومحل رضاعه كالغرس الذي زايل أرضه وفَقَدَ شُرْبَه، فهو ذاوٍ لا يثمر، وذابل لا ينضر» اهـ.

وروى البخاري في صحيحه (١٨٠٢) كتاب العمرة، باب: من أسرع ناقته

---

(١) هذا الحديث تشهد له كُلُّ الأدلة التي في هذا الباب كما سيأتي، ولم أقف على من أسنده.

(٢) وهذا الكلام من أهل الطبِّ له أصل في الشريعة، فقد روى البخاري في صحيحه (٥٧٤٥) ومسلم (٢١٩٤) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول اللَّه ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه، أو كانت به قرحة أو جرح، قال النبي بإصبعه هكذا، ووضع سفيان سبَّابته بالأرض، ثم رفعها: «**باسم اللَّه تربة أرضنا بريقة بعضنا ليُشفى به سقيمنا بإذن ربنا**»، قال النووي في شرح مسلم (١٤/ ١٤١): «قال جمهور العلماء: المراد بأرضنا هنا جملة الأرض، والريقة أقل من الريق، ومعنى الحديث: أنه يأخذ من ريق نفسه على إصبعه السبابة ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل ويقول هذا الكلام في حال المسح» اهـ.

إذا بلغ المدينة، وأحمد في مسنده (١٢٥٥٦) والترمذي في سننه (٣٤٤١) كتاب الدعوات، باب: ما يقول إذا قدم من السفر، من حديث أنس ﷺ قال: «كان رسول اللَّه ﷺ إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوْضع ناقته، وإنْ كانت دابة حرَّكها؛ من حُبِّها».

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/ ٧١٠): «قوله: (أوْضع) أسرع السَّيْر، قوله: (من حُبِّها): أي: حرَّك دابته بسبب حُبِّه المدينة؛ وفي الحديث دلالة على فضل المدينة؛ وعلى مشروعية حبِّ الوطن والحنين إليه» اهـ.

وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٨/ ٤٤٢):

«قوله: «فنظر إلى جدران المدينة أوْضع راحلته» أي: أسرعها، يقال: وضع البعير أي: أسرع في مشيه، وأوضعه راكبه، أي: حمله على السير السريع؛ «وإن كان على دابَّة» كالبغل أو الفرس «حركها من حبِّها»؛ من أجل حُبِّه ﷺ إيَّاها وأهلها.

وفي الحديث دلالة على فضل المدينة وعلى مشروعية حُبِّ الوطن والحنين إليه» اهـ.

قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

- **بيان اشتياق النبي ﷺ إلى وطنه:**

وقال ربُّ العزَّة -جل وعلا-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥].

قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤١):

«قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ ختم السورة ببشارة نبيه محمد ﷺ بردِّه إلى مكة قاهرًا لأعدائه، وقيل: هو بشارة له بالجنة،

والأول أكثر، وهو قول جابر بن عبد اللَّه ومجاهد وغيرهم.

قال القتبيُّ: معاد الرجل بلده؛ لأنه ينصرف ثم يعود.

وقال مقاتل: خرج النبي ﷺ من الغار ليلًا مهاجرًا إلى المدينة في غير الطريق؛ مخافة الطالب، فلما رجع إلى الطريق ونزل الجُحفة عرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها، فقال له جبريل: إنَّ اللَّه يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أي: إلى مكة ظاهرًا عليها[1].

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية بالجُحْفة، ليست مكِّيَّة ولا مدنية» اهـ.

فانظر إلى قول القرطبي: «بشارة نبيه محمد ﷺ بردِّه إلى مكة»، فالرجوع إلى الوطن بشارة لرسول اللَّه ﷺ، ولغيره من الأمة عامة كذلك.

وقال ابن كثير في تفسيره بعد أن ذكر بعض الأقوال في الآية (٦/ ١١٣):

«**قال البخاري في التفسير من صحيحه**: حدثنا محمد بن مقاتل، أنبأنا يعلى، حدثنا سفيان العُصْفُريُّ عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قال: إلى مكة[2].

وهكذا رواه النسائي في تفسير سُننه، وابن جرير، وهكذا روى العَوْفي عن ابن عباس: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أي: لرادُّك إلى مكة كما أخرجك منها.

وقال محمد بن إسحاق عن مجاهد في قوله: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: إلى مولدك بمكة.

قال ابن أبي حاتم: وقد روي عن ابن عباس، ويحيى بن الجزَّار، وسعيد ابن جبير، وعطية، والضحَّاك نحو ذلك.

---

(١) ذكره السيوطي في «أسباب النزول» (ص٦١٣) وعزاه لابن أبي حاتم عن الضحاك؛ أفاده المحقق.

(٢) رواه البخاري في صحيحه حديث رقم (٤٧٧٣).

وحدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر قال: قال سفيان: فسمعناه من مقاتل منذ سبعين سنة، عن الضحاك، قال: لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجُحفة اشتاق إلى مكة، فأنزل اللَّه عليه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ إلى مكة» اهـ.

قلت: فثبت صدق التفسير بالبشارة عن ابن عباس رضي الله عنهما ترجمان القرآن، بسند صحيح هو في البخاري.

وقال الإمام السخاوي في المقاصد الحسنة (ص٢١٤، ح: ٣٨٥):

«ولما اشتاق النبي ﷺ إلى مكة محل مولده ومنشئه، أنزل اللَّه تعالى عليه قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] إلى مكة» اهـ.

وذكر مثله العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٤١٣/ حديث: ١١٠٢).

- **ثالثًا: حنين الصحابة رضي الله عنهم إلى وطنهم:**

بل صرَّح رسول اللَّه ﷺ بحبِّه وحبِّ أصحابه رضي الله عنهم لوطنهم مكة: فقد روى البخاري في صحيحه (٦٣٧٢) كتاب الدعوات، باب: الدعاء برفع الوباء والوجع، ومسلم في صحيحه (٤٨٠/ ١٣٧٥) من كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة وفضل الصبر على لأوائها وشدَّتها، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قدمنا المدينة وهي وبيئة، فاشتكى أبو بكر واشتكى بلال، فلما رأى رسول اللَّه ﷺ شكوى أصحابه قال: «**اللهمَّ حبِّبْ إلينا المدينة كما حبَّبت إلينا مكة أو أشدّ، وبارك لنا في صاعها ومدِّها وحوِّل حُمَّاها إلى الجحفة**».

فهذا تصريح نبويٌّ بحبِّهم لوطنهم.

قال النووي في شرحه لمسلم (٩/ ١١١):

«قولها: «قدمنا المدينة وهي وبيئة» وهو الموت الذريع، هذا أصله، ويُطلق أيضًا على الأرض الوخمة التي تكثر بها الأمراض؛ لاسيَّما للغرباء

الذين ليسوا مستوطنيها» اهـ.

قال القرطبي في المُفْهم (٣/ ٣٨٩/ حديث: ١٢٣٠):

«**قولها**: (المدينة وهي وبيئة) بالهمزة من الوباء، وهي هنا: شدة المرض والحمَّى، وكانوا لما قدموا المدينة لم توافقهم في صحتهم، فأصابتهم أمراض عظيمة، ولقوا من حُمَّاها شدَّة، حتى دعا لهم النبي ﷺ للمدينة، فكشف اللَّه ذلك ببركة دعائه» اهـ.

قلت: فانظر إلى هذا الشوق والحنين للوطن مكة الحادث للصحابة ﷺ ولربَّما أثَّر على أجسادهم بالمرض، حتى أنهم لعنوا من تسبَّب في إخراجهم من وطنهم ودعوا عليه؛ والذي يؤكد ذلك؛ رواية الحديث الأخرى، والتي يذكر فيها بلال ﷺ مواطن من وطنه مكة في حالة من الشوق الشديد، وهذه الرواية عند البخاري (١٨٨٩) في صحيحه، كتاب فضائل المدينة، باب: آطام المدينة، عن عائشة ﷺ قالت: لما قدم رسول اللَّه ﷺ وعك أبو بكر وبلال، فكان أبو بكر إذا أخذته الحمَّى يقول:

كل امرئ مُصبَّحٌ في أهله ... والموت أدنى من شِراك نَعْلِهِ

وكان بلال إذا أُقلع عنه الحُمَّى يرفع عقيرته -أي: صوته- يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة ... بوادٍ وحولي إذْخِرٌ وجليل

وهل أرِدْن يومًا مياه مَجَنَّة ... وهل يبدون لي شامة وطَفِيلُ

قال: اللهم العن شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء، ثم قال رسول اللَّه ﷺ:

«**اللهم حبِّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد**».

ولقد أقرَّ النبي ﷺ ما قاله بلال ﷺ، وليس الأمر هنا فقط كما يقول البعض: إنَّ حبهم مكة بسبب كونها أحب بلاد اللَّه إلى اللَّه ورسوله -وهي

كذلك- ولكن لأنها وطنهم خاصة؛ ويدل على ذلك وجود النبي ﷺ معهم؛ فلو كان حبهم لها لمزيتها الشرعية، فإن وجود رسول اللَّه ﷺ في المدينة يصبغها بذلك؛ فثبت أنَّ العلة هي حنينهم إلى بلدهم، مع فضيلة مكة -حفظها اللَّه-، ونفس الأمر لبقية المهاجرين رضي الله عنهم؛ حيث قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] فجعلهم سبحانه صادقين لتركهم وطنهم؛ بسبب إيمانهم.

قال القرطبي في جامعه (١٧/ ١٧):

«ومعنى ﴿أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم﴾ أي: أخرجهم كفار مكة؛ أي: أحوجوهم إلى الخروج» اهـ.

ثم حبَّبها اللَّه إليهم كما في الحديث الأول من هذه اللبنة.

وما نطق به بلال قاله ﷺ؛ فقد روى الترمذي في سننه (**٣٩٣٤، ٣٩٣٥**) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه في سننه (**٣١٠٨**) والحاكم في المستدرك (**١٧٨٧**) من حديث عبد اللَّه بن عدي ابن حمراء الزهري رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال:

«**واللَّه إنك لخير ارض اللَّه، وأحب أرض اللَّه إلى اللَّه، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت**».

والحديث الآخر من حديث ابن عباس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما أطيبك من بلد وأحبَّك إليَّ، ولولا أنَّ قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك**». والحديث صححه الحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي.

بل أقرَّ رسول اللَّه ﷺ اشتياق بعض صحابته إلى بلده وأهله بعد أن غابوا عنها مدة أقل من شهر، وهم في مدينة رسول اللَّه ﷺ وفي صحبته؛ وذلك ما رواه البخاري في صحيحه (**٦٢٨، ٦٣١**) ومسلم (**٦٧٤**) من حديث مالك

ابن الحُوَيْرِث ﷺ قال:

أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيمًا رفيقًا؛ فلمَّا رأى شوقنا إلى أهالينا[1] (وفي رواية) فلما ظنَّ أنا قد اشتهينا أهلنا، سألنا عمَّن تركنا بعدنا، فأخبرناه، قال:

«**ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلِّموهم ومروهم**».

فلمَّا كان حبُّ الوطن والبلد والأهل غريزة وفطرة قد فُطر عليها الناس، راعى رسول اللَّه ﷺ ذلك فرفق بهم بالإذن بالرجوع إلى الأهل والبلد، مع أنهم في صحبة رسول اللَّه ﷺ خير الناس، وقد كانوا يفدونه بأمهاتهم وآبائهم وأنفسهم وأوطانهم وأموالهم، ولكنَّه الحب والشوق الجبلِّي المجبول والمخلوق عليه الخلق، فطرة اللَّه التي فطر الناس عليها، فطرهم على ملة التوحيد والإسلام وعلى محبة الأوطان.

● **لطيفة:**

فقد روى البخاري في صحيحه (١٤، ١٥) في كتاب الإيمان (باب: حب الرسول ﷺ من الإيمان) من حديث أبي هريرة وأنس ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«**فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**».

والصحابة ﷺ كلهم كذلك، يحبُّون الرسول ﷺ حبًّا لا يعدله حبُّ مثله، ويقدِّمونه على الوالد والولد والنفس والناس أجمعين.

فإذا كان ذلك كذلك، وأقرَّ النبيُّ ﷺ حبَّهم وشوقهم لبلدهم؛ فعُلم من ذلك

---

(١) الأهل هنا بمعنى الوطن، كذا فسَّرها المناويُّ في فيض القدير، وسيأتي.

أنه لا تعارض بين محبة اللَّه ورسوله ﷺ ومحبَّة الأوطان، ما لم تخالف هذه المحبة الكتاب والسنة وإجماع المسلمين في صغيرة أو كبيرة، أو ما لم تدفع محبة الوطن إلى معصيةاللَّه ورسوله.

● **رابعًا: وجوب هجران الأرض التي يُعمل فيها بالمعاصي عند القدرة:**

فإنه ينبغي على كل مسلم ضبط عواطفه ومحبته بالكتاب والسنة؛ فأوثق عرى الإيمان الحبُّ في اللَّه والبغض فيه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩].

قال القرطبي في تفسيره (٥/ ٢٣٨):

«والمراد بقوله: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾ المدينة؛ أي: ألم تكونوا متمكِّنين قادرين على الهجرة والتباعد ممن كان يستضعفكم!

وفي هذه الآية دليل على هجران الأرض التي يعمل فيها بالمعاصي.

وقال سعيد بن جبير: إذا عمل بالمعاصي في أرض فاخرج منها، وتلا: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ وكانت الهجرة واجبة على كل مسلم.

وقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ الحيلة لفظ عام لأنواع أسباب التخلُّص.

والسبيل في الآية سبيل المدينة؛ فيما ذكر مجاهد والسدِّي وغيرهما. والصواب أنه عام في جميع السُّبل، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ هذا الذي لا حيلة له في الهجرة؛ لا ذنب له حتى يُعفى عنه؛ ولكن المعنى: أنه قد يتوهَّم أنه يجب تحمُّل غاية المشقة في الهجرة، حتى أنَّ من لم يتحمل تلك المشقة يُعاقب، فأزال اللَّه ذلك الوهم؛ إذ لا يجب عليه تحمل غاية المشقة، بل كان

يجوز ترك الهجرة عند فقد الزاد والراحلة، فمعنى الآية: فأولئك لا يُستقصَى عليهم في المحاسبة؛ ولهذا قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾» اهـ.

ثم كانت الآية التي بعدها: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠].

قال القرطبي: «اخْتُلِفَ في تأويل المراغم، فقال مجاهد: المُتَزَحْزَحُ. وقال ابن عباس والضحاك والربيع وغيرهم: المراغم المُتَحَوَّل والمذْهَب، وقال ابن زيد: والمراغم المُهَاجَر؛ وقاله أبو عبيدة.

قال النحاس: فهذه الأقوال متفقة المعاني.

فالمراغم المذهب والمتحوَّل في حال الهجرة، وهو اسم الموضع الذي يُراغم فيه، وهو مشتق من الرَّغام، ورغم أنف فلان أي: لُصق بالتراب، وراغمت فلانًا هجرته وعاديته، وقيل: إنما سمِّي مهاجرًا ومراغمًا؛ لأنَّ الرجل كان إذا أسلم عادى قومه وهجرهم، فسُمِّي خروجه مراغمًا، وسمي مصيره إلى النبي ﷺ هجرة.

وقال ابن القاسم: سمعت مالكًا يقول: المراغم الذهاب في الأرض، وهذا كله تفسير بالمعنى، وكله قريب بعضه من بعض.

قوله تعالى: ﴿وَسَعَةً﴾ أي: في الرزق؛ قاله ابن عباس والربيع والضحاك.

وقال قتادة: المعنى سعة من الضلالة إلى الهدى ومن العَيْلَة إلى الغنى.

وقال مالك: السعة سعة البلاد، وهذه الآية دالة على أنه ليس لأحد المُقام بأرض يُسبُّ فيها السلف، ويُعمل فيها بغير الحق» اهـ.

وقال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

قال القرطبي في جامعه (١٣/ ٢٥٥):

«قال النخعي وقتادة: الذي قال: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ هو إبراهيم عليه السلام: قال قتادة: هاجر من كوثا وهي قرية من سواد الكوفة إلى حرَّان ثم إلى

الشام ومعه ابن أخيه لوط بن هاران بن تاريخ، وامرأته سارة.

قال الكلبي: هاجر من أرض حرَّان إلى فلسطين، وهو أوَّل من هاجر من أرض الكفر.

قال مقاتل: هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة» اهـ.

وقال الطبري في تفسيره (٢٠/ ١٤٣):

«عن الضحاك قال: إبراهيم القائل: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ يقول: إنَّ ربي هو العزيز الذي لا يذل من نصره، ولكنه يمنعه ممن أراده بسوء، وإليه هجرته، الحكيم في تدبيره خلقه، وتصريفه إياهم فيما صرفهم فيه» اهـ.

وقال السعدي في تفسيره (ص٦٢٩):

«﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ أي: هاجر أرض السوء ومُهَاجر إلى أرض مباركة، وهي الشام» اهـ.

- **خامسًا: بيان أنَّ الأنبياء والمرسلين قد ابتُلوا بالإخراج من أوطانهم:**

ولقد بيَّن اللَّه في أكثر من آية أنَّ أهل الكفر والإلحاد كانوا يُعاقِبُون الأنبياء والمرسلين بإخراجهم من وطنهم؛ لما فيه من المشقة والأسى والحزن؛ فقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣]، وقالوا لنبي اللَّه لوط عليه السلام: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]، ثم في نفس السورة بعدها قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨]. وقد أخرج رسول اللَّه ﷺ من وطنه وكذلك أصحابه، بل بيَّن رب العزة أنَّ الخروج من الأوطان عقاب كالموت؛ فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن

دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦]؛ كذا فسَّرها البيهقيُّ في: المحاسن والمساوئ؛ كما مرَّ من قبل.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَـٰذَا لَبَلَـٰغًا لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤ - ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩- ٤٠].

فجعل ربُّ العزة من الظلم الشديد إخراج الناس من أراضيهم.

- **سادسًا: بيان أنَّ البعد عن الوطن قطعة من العذاب:**

روى الحاكم في المستدرك (١٧٥٣)، وقال: حديث صحيح ووافقه الذهبيُّ على شرط البخاري ومسلم، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٥٩) في كتاب الحج، باب: الاختيار في التعجيل في القفول إذا فرغ، من حديث عائشة رضي الله عنها عن رسول اللَّه ﷺ قال:

«إذا قضى أحدكم حجَّه فليعجل الرُّجوع إلى أهله، فإنه أعظم لأجره».

ذكر السيوطي هذا الحديث في الجامع الصغير وصححه (ح: ٧٩٨).

قال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير (١/ ٥٣٩):

«**إذا قضى أحدكم**» أي: أتمَّ «**حجه**» أو نحوه من سفر طاعة كغزو «**فليعجل**» أي: فليُسرع ندبًا «**الرجوع إلى أهله**» أي: وطنه وإنْ لم يكن له أهل[1] «**فإنه أعظم لأجره**»؛ لما يدخله على أهله وأصحابه من السرور بقدومه؛ لأن الإقامة بالوطن يسهل معها القيام بوظائف العبادات أكثر من غيرها، وإذا كان هذا في الحج الذي هو أحد دعائم الإسلام، فطلب ذلك

(١) قلت: هذا يفسر حديث مالك بن الحويرث الذي مرَّ لما قال: «فلما رأى شوقنا إلى أهلينا» أي: إلى وطننا بما فيه الأهل.

في غيره من الأسفار المندوبة والمباحة أوْلى، وفيه ترجيح الإقامة على السفر غير الواجب» اهـ.

قلت: والحديث رواه البخاري في صحيحه (١٨٠٤) ومسلم (١٩٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه؛ فإذا قضى نهْمَتَه فليعجل إلى أهله**»، وعند مسلم: «**نهمته من وجهه فليعجل**». فقوله ﷺ: «**السفر قطعة من العذاب**» له علاقة بالبعد عن الوطن، وأنَّ هذا العذاب منه الحنين والشوق إلى الوطن؛ فالحديث عند مسلم في كتاب الإمارة باب (٥٥): السفر قطعة من العذاب واستحباب تعجيل المسافر إلى أهله بعد قضاء شغله.

قال النووي في شرح مسلم (١٣/ ٥٧):

«معناه: يمنعه كمالها ولذيذها؛ لما فيه من المشقة والتعب، ومقاساة الحرِّ والبرد، والسرى والخوف، ومفارقة الأهل والأصحاب، وخشونة العيش.

قوله ﷺ: «**فإذا قضى أحدكم نهمته من وجهه فليعجل إلى أهله**»: النهمة: بفتح النون وإسكان الهاء هي: الحاجة، والمقصود في هذا الحديث: استحباب تعجيل الرجوع إلى الأهل بعد قضاء شُغله، ولا يتأخر بما ليس له مهم» اهـ.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب العمرة، باب: السفر قطعة من العذاب (٣/ ٧١٢ - ٧١٣):

«وفي الحديث كراهة التغرُّب عن الأهل لغير حاجة، واستعجال الرجوع، ولا سيَّما من يخشى عليهم الضَّيْعة بالغيبة، ولما في الإقامة في الأهل من الراحة المُعِينة على صلاح الدين والدنيا، ولما في الإقامة من تحصيل الجماعات والقوة على العبادة.

قال ابن بطال: ولا تعارض بين هذا الحديث، وحديث ابن عمر رضي الله عنهما

مرفوعًا: «**سافروا تصحوا**»[1]؛ فإنه لا يلزم من الصحة بالسفر؛ لما فيه من الرياضة أنْ لا يكون قطعة من العذاب؛ لما فيه من المشقة، فصار كالدواء المُرِّ المعقب للصحة، وإن كان في تناوله الكراهة.

واستنبط الخطابي تغريب الزاني؛ لأنه أمر بتعذيبه، والسفر من جملة العذاب.

لطيفة: وسُئل إمام الحرمين حيث جلس في موضع أبيه: لم كان السفر قطعة من العذاب؟ فأجاب على الفور: لأنه فيه فراق الأحباب» اهـ.

- **سابعًا: ذكر حديث ضعيف في المسألة وبيان من قال بصحة معناه وتوجيه قوله:**

قلت: رُوي في المسألة حديث، نصُّه: «**حب الوطن من الإيمان**».

وهو حديث موضوع كما قال الصاغاني، ونقله عنه العجلوني في كشف الخفاء (حديث: ١١٠٢) وكذلك ذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٦) وذكر أنه موضوع، وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (ح: ٣٨٥)، وقال: «لم أقف عليه، ومعناه صحيح» اهـ.

قلت: فلربما صحح الإمام السخاوي معناه لما مرَّ من هذه الأدلة آنفًا.

قال العجلوني في كشف الخفاء (ص٤١٣ - ٤١٤):

«وقال في المقاصد: لم أقف عليه ومعناه صحيح، وردّ القاري قوله: (ومعناه صحيح) بأنه عجيب، قال: إذْ لا تلازم بين حبِّ الوطن وبين الإيمان، قال: ورُدَّ أيضًا بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا

(١) رواه أحمد في المسند (٨٩٢٥) وحسنه أحمد شاكر، والطبراني في الكبير (١١/ ٦٣)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب حديث (١٤٥٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٧٩): رجاله ثقات.

مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦] فإنها دلت على حبهم وطنهم، مع عدم تلبُّسهم بالإيمان، إذْ ضمير عليهم للمنافقين، ولكن انتصر له بعضهم بأنه ليس في كلامه أنه لا يحب الوطن إلا مؤمن، وإنما فيه: أنَّ حب الوطن لا ينافي الإيمان. انتهى.

كذا نقله القاري ثم عقَّبه بقوله: ولا يخفى أنَّ معنى الحديث: حب الوطن من علامة الإيمان، وهي لا تكون إلَّا إذا كان الحب مختصًّا بالمؤمن، فإذا وُجد فيه وفي غيره لا يصلح أن يكون علامة.

قوله: ومعناه صحيح؛ نظرًا إلى قوله تعالى حكاية عن المؤمنين: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦]، فصحَّت معارضة بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦].

والأظهر في معنى الحديث إنْ صح مبناه: أن يُحمل على أنَّ المراد بالوطن الجنَّة، فإنها المسكن الأول لأبينا آدم، أو المراد به مكة؛ فإنها أم القُرى وقبلة العالم، أو المراد به الوطن المتعارف، ولكن بشرط أنْ يكون سبب حبه صلة أرحامه، أو إحسانه إلى أهل بلده من فقرائه وأيتامه، ثم التحقيق: أنه لا يلزم من كون الشيء علامة له اختصاصه به مطلقًا، بل يكفي غالبًا» اهـ.

وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص٢١٤ - ٢١٥):

«ومعناه صحيح، في ثالث المجالسة للدينوري من طريق الأصْمعي، سمعت أعرابيًّا يقول: إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحنُّنه إلى أوطانه وتشوُّفه إلى إخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه.

ومن طريق الأصمعي أيضًا قال: قالت الهند: ثلاث خصال في ثلاثة أصناف من الحيوان: الإبل تحنُّ إلى أوطانها، وإن كان عهدها بها بعيدًا، والطير إلى وكره وإن كان موضعه مجدبًا، والإنسان إلى وطنه وإن كان غيره

أكثر نفعًا .

ولما اشتاق النبي ﷺ إلى مكة محلّ مولده ومنشئه أنزل اللَّه تعالى عليه قوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص : ٨٥] إلى مكة .

وللخطابي في غريب الحديث من طريق إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن الزهري، قال : قدم أُصيل -بالتصغير- الغفاري على رسول اللَّه ﷺ من مكة قبل أن يُضرب الحجاب، فقالت له عائشة : كيف تركت مكة؟ قال : اخضرَّت جنباتها، وابيضَّت بطحاؤها، وأُغْدق إذخرها، وانتشر سلمها، الحديث، وفيه، فقال له رسول اللَّه ﷺ : «**حسبك يا أُصيل لا تحزني**» وهو عند أبي موسى المديني من وجه آخر، قال : قدم أصيل الهذلي، فذكر نحوه باختصار . وفيه : فقال له النبي ﷺ : «**ويهًا يا أصيل تدع القلوب تَقَرّ**» »اهـ .

قلت : وحديث أُصيل بروايتيه ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة، ترجمة **(٣٤٢)** وسكت عليهما .

ومعنى تقرّ : أي : تُسرّ وتفرح (النهاية لابن الأثير (٤/ ٣٤) .

والمعنى : أن ذِكْرَ أُصيل رضي الله عنه لمكة هيَّج مشاعر رسول اللَّه ﷺ لوطنه الأم .

- **ثامنًا: من قدَّم حبَّ الوطن على دينه فقد باء بالحسرة والخسران:**

وقال رب العزة -جل وعلا- : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة : ٢٣- ٢٤] . فهنا بيَّن ربنا ﷻ أنَّ الذي يحب وطنه -الذي هو مسكنه وأرضه وأهله وماله- محبة مقدمة على محبة اللَّه ورسوله فهو من

الفاسقين الذين لا يهديهم اللَّه، وهدَّدهم بما يسوؤهم من العقاب.

فكما ينبغي علينا هدم منهج السمع والطاعة العمياء للرموز والقادة ورؤوس الجماعات؛ بما يخالف اللَّه ورسوله؛ الذي أدى إلى خراب البلاد، فكذلك يُهدم كل شيء أدى إلى معصية اللَّه ورسوله.

قال القرطبي في تفسيره (٨/ ٢٦):

«لمَّا أمر رسول اللَّه ﷺ بالهجرة من مكة إلى المدينة جعل الرجل يقول لأبيه والأب لابنه والأخ لأخيه والرجل لزوجته: إنَّا قد أمرنا بالهجرة، فمنهم من تسارع لذلك، ومنهم من أبى أن يهاجر، فيقول: واللَّه لئن لم تخرجوا إلى دار الهجرة لا أنفعكم ولا أنفق عليكم شيئًا أبدًا.

ومنهم من تتعلق به امرأته وولده ويقولون له: أنشدك اللَّه ألا تخرج فنضيع بعدك، فمنهم مَنْ يرقُّ فيدع الهجرة ويقيم معهم، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ [التوبة: ٢٣].

يقول: إن اختاروا الإقامة على الكفر بمكة، على الإيمان باللَّه والهجرة إلى المدينة، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ﴾ بعد نزول الآية ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].

ثم نزل في الذين تخلَّفوا ولم يهاجروا: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ﴾ وهي الجماعة، التي ترجع إلى عقد واحد، كعقد العشيرة فما زاد، ومنه المعاشرة، وهي الاجتماع على الشيء، ﴿وَأَمۡوَالٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا﴾ يقول: اكتسبتموها بمكة، ﴿وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا﴾ قال ابن المبارك: هي البنات والأخوات إذا كسدت في البيت لا يجدن لهنَّ خاطبًا، ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ﴾ يقول: ومنازل تعجبكم الإقامة فيها ﴿أَحَبَّ إِلَيۡكُم﴾ من أنْ تهاجروا إلى اللَّه ورسوله بالمدينة.

وفي الآية دليل على وجوب حب اللَّه ورسوله، ولا خلاف في ذلك بين الأمة، وأنَّ ذلك مقدَّم على كل محبوب.

﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ صيغته صيغة أمر ومعناه التهديد، يقول: انتظروا، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ يعني بالقتال وفتح مكة؛ عن مجاهد، وقال الحسن: بعقوبة آجلة أو عاجلة» اهـ.

ومن هنا تعلم عُظْم وخطورة النداء المطلق بالمواطنة وحب الوطن بدون قيود شرعية، فإنَّ كل محبة تدفع إلى معصية، أو تصد عن أمر واجب، أو تنقض عروة من عرى الإسلام، كعروته الوثقى: الحب في اللَّه والبغض في اللَّه، أو تدعو إلى شرك وإلحاد، كالنداء بحرية المعتقد، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ولا حرج، ولا أن تقام الحدود على من بدل دينه من الإسلام إلى الكفر، وحرية الدعوة إلى الأديان الكفرية تحت وحدة الوطن والمواطنة، والنداء بوحدة الأديان، وكالأقوال الكفرية التي تنقضُ القرآن والسنة والإجماع، من قولهم على من كفَّره اللَّه ورسوله: ليس كافرًا، أو مساواة القرآن العظيم بالكتب المحرَّفة لأهل الكتاب من التوراة والإنجيل، أو مساواة المسلم بالكافر، وغير ذلك مما ذكرته هذه الآية الجامعة من سورة التوبة المذكورة آنفًا، فهذا هو الضلال المبين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، وهذا أمرٌ مجمع عليه سلفًا وخلفًا، لا خلاف فيه ألبتة.

وروى مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبيِّنا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملَّته، حديث (١٥٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه: «**والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة، يهودي أو نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به،**

إلا كان من أصحاب النار»، وعليه، فمن قال بعكس هذه الأدلة فقد أتى بأمر كفريٍّ بواحٍ.

فإننا نحب مصرنا، ونحب وطننا، وترابنا ونيلنا، وقومنا وجيشنا وشرطتنا، ونتمنَّى لمصرنا كل نماء وسخاء وخير وصلاح وفلاح ونجاح، ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا، ولا نفعل إلا ما يرضي رسولنا، ولا نعتقد إلا ما أمرنا اللَّه ورسوله باعتقاده.

فإنَّ الآفة الخطيرة، والتي ساعد عليها جهل جُلِّ المسلمين بعقيدة التوحيد وتعاليم دين الإسلام، هي الغلو العظيم في محبة الوطن بما يهدم الدين، وينقض عرى الشريعة باسم المواطنة وحب الوطن، ولقد ظهرت نابتة ضالة مضلة تترأَّسها جملة من القنوات الفضائية، يظهر من خلالها طائفة من المنافقين يروِّجون بشدة وحماس، لتغيير دين الإسلام، ونقض عرى الشريعة، باسم المواطنة، من خلالها نادى رجال يتكلمون باسم الدين، بعدم كفر النصارى، وأنَّ من مات منهم في الثورة فهو شهيد في الجنة، وهذا أمر لو سُكت عليه لشوَّهت الديانة، واللَّه المستعان، فليفق إخواننا المسلمون لهذا المنزلق من مزالق الاتجاه اللاديني، اللاعقدي، اللاإسلامي، فإنه المهلكة؛ حيث به تُنزَّل علينا من السماء النِّقم والويلات والمهلكات؛ فإنَّ ملاك هذا الدين على: لا إله إلا اللَّه، وإيَّاكم ودعاة السوء والشهرة الذين اشتروا بآيات اللَّه ثمنًا قليلًا؛ فيغيروا لذلك تعاليم الإسلام باسم المواطنة والوسطية.

إنَّ مما أفزعني في هذا الأمر: سؤال رجل جاءني في المسجد حائرًا يظهر عليه ذلك فقال لي: يا عم الشيخ اللَّه يبارك لك، المسيحيين كفرة أم لا؟! وقد تكرر ذلك كثيرًا، فأيقنت تأثير دعاة السوء في تغيير شرع اللَّه؛ إذْ حال هذا الرجل هو حال كثير من المصريين، لقد أثَّرت دعوى المواطنة على التشكيك في المسلَّمات؛ لكثرة ما يسمعه الناس من دعاة السوء الذي يحرفون الكلم عن

مواضعه، تحريف معنى ودلالة لنصوص الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]؛ فإنه لما قال الصحابة ﷺ إنَّا نحب ربنا، ابتلاهم اللَّه بهذه الآية، التي هي المحكُّ العملي لإظهار المحبة الفعلية، فيُبَرْهِنوا على محبتهم باتباعهم للرسول ﷺ في كل صغيرة وكبيرة؛ فإنه من ادَّعى محبته وهو يخالف أمره فهو كذوب.

قال الإمام ابن رجب الحنبلي في تحقيق كلمة الإخلاص (ص٢١ وما بعدها):

«قوله: «لا إله إلا اللَّه» يقتضي ألا يُحبَّ سواه، فإنَّ الإله هو الذي يطاع فلا يعصى، محبةً له وخوفًا ورجاء، ومن تمام محبته محبة ما يحبه، وكراهة ما يكرهه، فمن أحب شيئًا مما يكرهه اللَّه، أو كره شيئًا مما يحبه اللَّه، لم يكمل توحيده وصدقه في قوله: لا إله إلا اللَّه، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما أحبه اللَّه، وما أحبه مما يكرهه اللَّه، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨].

وقال الحسن: اعلم أنك لن تحبَّ اللَّه حتى تحب طاعته.

وقال أبو يعقوب: كل من ادَّعى محبة اللَّه ولم يوافق اللَّه في أمره فدعواه باطلة.

وقال يحيى بن معاذ: ليس بصادق من ادَّعى محبة اللَّه ولم يحفظ حدوده.

وقال رويم: المحبة الموافقة في جميع الأحوال.

ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، قال الحسن: قال أصحاب رسول اللَّه ﷺ: إنَّا نحب ربنا حبًّا شديدًا، فأحب اللَّه أن يجعل لحبه علمًا، فأنزل هذه الآية.

ومن هنا يعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله إلا اللَّه إلا بشهادة أنَّ محمدًا رسول اللَّه، فإذا عُلم أنه لا تتم محبة اللَّه إلا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه، فلا طريق إلى معرفة ما يحبُّه وما يكرهه إلا من جهة محمد ﷺ، المبلِّغ عن اللَّه ما يحبه ويكرهه باتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه؛ فصارت محبته مستلزمة لمحبة رسوله ﷺ وتصديقه ومتابعته؛ ولهذا قرن اللَّه محبته ومحبة رسوله ﷺ في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]، كما قرن طاعته وطاعة رسوله ﷺ في مواضع كثيرة.

وقال ﷺ: «**ثلاث من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: من كان اللَّه ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأنْ يحب المرء لا يحبُّه إلا للَّه، وأنْ يكره أنْ يعود في الكفر بعد أنْ أنقذه اللَّه منه، كما يكره أن يُقذف في النار**»[1].

والمعنى: أنَّ محبة اللَّه إذا استغرق بها القلب واستولت عليه، لم تنبعث الجوارح إلا إلى رضا الربِّ، وصارت النفس حينئذ مطمئنة بإرادة مولاها عن مرادها وهواها» اهـ.

- **تاسعًا: بيان لماذا أنكر بعض العلماء المعاصرين حب الوطن وتوجيه قولهم:**

ومن هنا استوحش المتَّقون في أوطانهم، قال البيهقي في المحاسن والمساوئ (ص١٧٥):

«وروي عن كعب بن مالك أنه وصف وحشة المدينة لغيبة النبي ﷺ فقال: تنكَّرت البلاد فما هي البلاد التي نعرف، وتنكَّر الناس فما هم بالناس الذين نعرف».

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦٩٤١) ومسلم (٤٣).

• **وطن المسلم هو ما يستقيم به دينه:**

ومن هنا أنكر من أنكر من العلماء المعاصرين حب الوطن الذي هو بمعنى المواطنة، فقال الشيخ الصالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ كما في لقاءات الباب المفتوح (٤١ - ٥٠ ص٤١):

«والحقيقة أنَّ الذي ينبغي علينا هو أنْ نوجِّه شبابنا إلى التحمُّس للدين، وليس للوطن من حيث إنه وطن؛ ولهذا ترك الصحابة أوطانهم في الفتوحات الإسلامية وذهبوا يسكنون الكوفة والبصرة والشام ومصر؛ **لأن وطن المسلم هو ما يستقيم به دينه.**

فكوننا نُرَبِّي الأجيال على الدفاع عن الوطن أو ما شابه ذلك، دون أنْ نُشعرهم بأننا نحمي وطننا، أو ندافع عن وطننا من أجل ديننا؛ لأنَّ وطننا والحمد للَّه -أعني بذلك المملكة العربية السعودية- هي من خير أوطان المسلمين إقامة لدين اللَّه، فأنا أدافع عن وطني لأنه الوطن الذي يُطبِّق من أحكام الشريعة ما لا يُطبقه غيره، وإن كان عندنا خلل كثير، فهذا لا بأس به، أما مجرد الوطنية فهذه دعوة فاشلة» اهـ.

وقال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١/ ١١٠/ حديث: ٣٦): «**(حب الوطن من الإيمان)**: موضوع كما قال الصاغاني (ص٧) وغيره، ومعناه غير مستقيم: إذْ أن حب الوطن كحب النفس والمال ونحوه، كل ذلك غريزي في الإنسان، لا يمدح بحبه، ولا هو من لوازم الإيمان، ألا ترى أنَّ الناس كلهم مشتركون في هذا الحب، لا فرق في ذلك بين مؤمنهم وكافرهم؟!» اهـ.

وعليه، فعند التحقيق، فقد أنكر العثيمين حبَّ الوطن العاصي للَّه بعدم تطبيق شرعه، وهذا لا يُحَبُّ قطعًا، ومن ثمَّ فلا خلاف.

كذلك قد استمعت إلى كلام للشيخ الألباني في سلسلة الهدى والنور شريط رقم (٥٢٧) ابتداء من الدقيقة (١١) وقد فرَّغتها، حيث قال: «أنتم تعرفون جميعًا لفظة مشهورة على ألسنة الناس: «حب الوطن من الإيمان» بيقولوا هذا قاله رسول اللَّه، وهذا كذب على رسول اللَّه ﷺ، عجيب واللَّه عجيب، أنا ما بقول لك حبَّ الوطن ما بيجوز، لا، نرجع نقول سؤال فقهي، بعد أن أخَّرنا عن الأذهان من كون الرسول قال: حب الوطن من الإيمان، هل صحيح، أنَّ حب الوطن من الإيمان؟ أم يجوز حبُّ الوطن؟ في فرق، شيء يجوز، وشيء له علاقة بالإيمان؛ فأيّ شيء له علاقة بالإيمان فهو مستحبٌّ، وأنت صاعد حتى يصير فرضًا، صح أم لا؟ لكن الأمر الجائز سواء عليك فعلته أو تركته، حب الوطن أمر غريزي مثل حب الحياة، ومثل كراهية الموت، الذي يحب الحياة لا يمدح ولا يذم، لكن يُمدح ويذم باعتبار ما يتعلق بحياته، كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «**خيركم من طال عمره وحَسُن عملُه، وشركم من طال عمره وساء عمله**»[1]، فهو أمر غريزي عند الناس؛ ولذلك قال تعالى في حق اليهود: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ﴾ [النساء: ٦٦] لماذا؟ لأن الإنسان تعلق بوطنه، فالتعلق بالوطن أمر غريزي، أمر طبيعي، ولكنَّ حب الوطن لا لذاته، لا لأن أرضك فلسطين، أنت بتحب فلسطين دينًا.

بُحَّت أصوات الدعاة الإسلاميين بالتفاخر بأنَّ مِنْ كمال الإسلام وعظمته أنَّ كل بلاد الإسلام وطن واحد، صح ولَّا لا؟ هذه من الناحية الاجتهادية، أما من الناحية الغريزية، فالواحد يُحب البلدة التي وُلد فيها، بيحبّ الحارة،

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٢٣٣٠) وقال: حسن صحيح، والدارمي في سننه (٢٧٤٢)، والطيالسي في مسنده (٨٦٤) والحاكم في مستدركه (١٢٥٦) وصححه ووافقه الذهبي على شرط مسلم.

المحلَّة التي ولد فيها، وهذا ما له علاقة بالإيمان، هذا له علاقة بالإنسان. صحيح أنَّ الرسول ﷺ لما عزم على الهجرة من مكة إلى المدينة توجَّه إلى مكة وقال: «**أما إنك**» وانتبه لمعنى الحديث الذي يختلف عن المعنى اللِّي دار في ذهنك، فالحديث ليس له علاقة بحبِّ الوطن، أيّ وطن كان، بل له علاقة بحب خير بلاد اللَّه، قال ﷺ: «**أما إنك أحب بلاد اللَّه إلى اللَّه، وأحب بلاد اللَّه إلي، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت**» ليه؟ لأنه وطنه؟ لا؛ لأنه خير بلاد الدنيا، فمثلًا لا يجوز لمسلم أُخْرِجَ من بلد، مصر مثلًا، فيقول: أما إنك أحب بلاد اللَّه إلى اللَّه وأحب بلاد اللَّه إليَّ، ولولا أنَّ قومك أخرجوني منك ما خرجت، ما بيجوز هذا الكلام.

فلا يجوز للإنسان المسلم أن يتكلم بغير علم؛ لأن اللَّه ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:]» اهـ.

هذا رأي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مفصلًا، ولا يختلف عند التحقيق والتأمل عما قلته هنا، ولقد وقفت على مقالة للشيخ عبد السلام برجس العبد الكريم رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب كتاب: معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، وهي مقالة طويلة مباركة -بإذن اللَّه- بجريدة الوطن الكويتية، العدد: (١١١٧٦) بتاريخ ١٥/ صفر/ ١٤٢٨هـ، الموافق ٥/ مارس/ ٢٠٠٧/ م، قد فصَّل فيها القول في المسألة على مثل ما ذكرت في هذه اللبنة، وقد استفدت منها هنا، وأخرى مثلها قد قدَّم لها فضيلة الشيخ صالح السدلان، وهما على شبكة النت، وقد رجح جميعهم القول الوسط المفصل، كما فصَّلت هنا.

- **استنباط قوي للشيخ ابن برجس** رَحِمَهُ اللَّهُ:

بل ألمح العلامة ابن برجس إلى استنباط قوي، أخرجه من الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه (٢٤٨٠)، ومسلم (١٤١) من حديث عبد اللَّه

ابن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

«**مَنْ قُتل دون ماله فهو شهيد**» فقال: «والأرض مال».

قلت: ومراده رحمه الله أنَّ الذي يُقاتل للدفاع عن أرضه من المسلمين فهو شهيد.

وعليه، فالذي يدافع عن وطنه من المسلمين فقُتل فهو شهيد، إذْ حقُّه أن يدافع عنه، فقد قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (٥/ ١٣٦):

«قال ابن بطال: إنما أدخل البخاري هذه الترجمة في هذه الأبواب؛ ليبيِّن أنَّ للإنسان أن يدافع عن نفسه وماله ولا شيء عليه؛ فإنه إذا كان شهيدًا إذا قتل فلا قود عليه ولا دية إذا كان هو القاتل» اهـ.

وذلك؛ لأن البخاري بوَّب لهذا الحديث بابًا سماه: «باب من قاتل دون ماله»؛ وعليه فمعنى التبويب: من قاتل دون أرضه، أو قل: «باب من قاتل دون وطنه من المسلمين»، واللَّه تعالى أعلم.

وللشيخ الفاضل الدكتور محمد سعيد رسلان رسالة لطيفة في المسألة اسمها: «حب الوطن الإسلامي من الإيمان» وفيها أيضًا فصَّل القول بمشروعية محبة الوطن.

والمتأمل لما قاله العلامة ابن عثيمين والعلامة الألباني -رحمهما اللَّه- يجد أنَّ مدار قولهما على إنكار محبة الوطن المخالف للأدلة الشرعية؛ لذلك صرَّح العثيمين بحبه لوطنه السعودية -حفظها اللَّه من كل سوء- لأنه وطن يُطبق شرع اللَّه، وصرَّح الألباني بمكانة مكة وحبها؛ لأنها أحب بلاد اللَّه إلى اللَّه ورسوله، فهي محبَّة شرعية، لا محبة لوطن يُقام فيه الكفر والإلحاد ويحارب فيه اللَّه ورسوله، ولو كان مولد المرء وبلده، فهذا لا خلاف فيه؛ ولقد بيَّن الألباني رحمه الله أنَّ حب الأوطان غريزة، وهو كذلك، ثم تُضبط هذه الغريزة بالكتاب والسنة، وبالحب والبغض في اللَّه وللَّه وباللَّه وعلى سبيل اللَّه.

ثم تجد الخوَّان المسلمين قد حُرموا المحبَّتين، فقد فسدت فطرتهم ودينهم.

ومصرنا -حفظها اللَّه-، يحبها المصريون غريزة وفطرة من ناحية، ومن ناحية أخرى فهي تُحَبُّ شرعًا وتديُّنًا، لماذا؟ لما فصَّلته في اللَّبنة الأولى من هذا الكتاب؛ فهي البلد الآمن، مهبط الأنبياء والمرسلين وأصحاب الرسل، ومنها أم العرب وأم رسولنا محمد ﷺ هاجر، ومنها مريم أم إبراهيم بن محمد الرسول ﷺ، وعليها سجد وصلى إدريس وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف والأسباط وموسى وهارون وعيسى ومريم البتول، ويكفي قول اللَّه فيها: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩] فهي البلد المؤمَّنة بأمان اللَّه، وعليها تجلَّى الربُّ العظيم على جبل الطور، فجمع لها سبحانه المزايا العديدة، وأوصى الرسول ﷺ بأهلها الخير كله، فبارك اللَّه مصر وحفظها وأمَّنها وكلأها من كل سوء، وردَّ عنها كيد الكائدين، ومكر الماكرين، وخيانة الخائنين، ونفاق المنافقين، وبارك لنا في أرضنا ونيلنا ووطننا وقومنا وحكومتنا ورئيسنا، اللهم آمين.

- **خاتمة اللبنة:**

إنَّ الذي أنكره أهل العلم في هذه المسألة هو حب الوطن الذي يؤول أمره إلى الكفر والإلحاد؛ كما قال عميد الكفر العربي -طه حسين- الذي أعمى اللَّه بصيرته كما أعمى بصره حيث غالى في حب مصر حتى الإلحاد فقال: «لو حال القرآن بيننا وبين فرعونيَّتنا لنبذناه» اهـ.

وهذا الهالك أحمد فؤاد نجم يقول: «باسم الإله الشعب ربِّ الطيبين»، وقال على الصلاة منكرًا إيَّاها: «دي حركات رياضية»، ثم لمَّا أهلكه اللَّه وُجد من العلمانيين له تشريفٌ عظيم، ومن هنا تهلك الامم.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال: ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي

دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال سبحانه: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

قال القرطبي في تفسيره (٦/ ١٥٠): «أي لا تُفْرِطوا كما أفرطت اليهود والنصارى في عيسى، غلوُّ اليهود قولهم في عيسى ليس ولد رِشْدَة، وغلوّ النصارى قولهم: إنه إله، والغلو مجاوزة الحد» اهـ.

وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٠٥): «أي: لا تجاوزوا الحدَّ في اتباع الحق ولا تُطْروا من أُمِرْتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تُخرجوه عن حيِّز النبوة إلى مقام الإلهية» اهـ.

قلت: هذا في شأن النبي والنبوة، فكيف بالمغالاة في حب الأوطان؟!!

وعليه فلا تقل المغالاة في حب الأوطان، بما يخالف الدين من كتاب وسنة وإجماع المسلمين، والتي تؤدي إلى تشويه الشِّرْعة ونقض الملة، عن المغالاة في السمع والطاعة العمياء التي كانت من أتباع الجماعات لرموزهم ورؤوسهم، والتي أدَّت إلى موجة التكفير والتفجير، وخير الدين الوسطية الشرعية المستدل لها بالكتاب والسنة.

واعلم وفَّقك اللَّه لما يحبه ويرضاه، أنَّ الغُلُوَّ والإفراط في كل شيء يفسده ويدمِّره، فلما غالت النصارى في عيسى عبدوه من دون اللَّه، ولما غالت اليهود من قبلهم عبدوا عُزيرًا من دون اللَّه، ولما غالت الأتباع في الطاعة العمياء للمتبوعين؛ جعلوهم كالأرباب يطيعونهم فيما حرَّمه اللَّه، فكان هؤلاء الأتباع بمغالاتهم معاول هدَّامة للدين والدنيا، مفسدين في الأرض بعد إصلاحها، ولا يَقِلُّ الأمر عن ذلك في شأن المغالاة في الدعوة إلى الوحدة والمواطنة من غير قيود شرعية، نعم نحن جميعًا مسلمون ونصارى في وطن واحد، لا يعتدي أحدنا على الآخر، ولكل منَّا حقوقه وعليه واجباته المقررة شرعًا، الكل يأمن على معتقده، ودمه ونفسه، وعرضه، وماله، ولكن، لا يستوي المسلم

والكافر، كما لا يستوي المؤمن التقي مع الفاسق العاصي، وكما لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، ولا يستوي السُّنِّي والبدعي، وكما لا تستوي المرأة مع الرجل، ومرجعيَّتنا في ذلك الكتاب والسنة بفهم الصحابة الكرام ﷺ، وإجماع المسلمين، فإن قامت المحبة الوطنية على ذلك فبها ونعمت، وإن خالفت ذلك أو خالفت بعضه، فهو كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١]، وقال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ [مريم: ٤٨]، واللَّه من وراء القصد وهو يهدي السبيل، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

* * *

الخاتمة
ولأفرِيَنَّهُمْ بمقالتي فَرْيَ الأدِيمِ بلا سِكِّين

روى مسلم في صحيحه (٢٤٨٦) من حديث البراء بن عازب ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**اهجهم، أو هاجهم وجبريل معك**».

وفي رواية عند مسلم (٢٤٨٥) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**أجبْ عنِّي، اللهم أيِّده بروح القدس**».

وروى مسلم في صحيحه (٢٤٩٠) عن عائشة ﷺ أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**اهْجُوا قُريشًا؛ فإنه أشدّ عليها من رَشْق النَّبل**».

فأرسل إلى عبد اللَّه بن رواحة فقال: «**اهجهم**» فهجاهم فلم يرض، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت[1]، فلما دخل عليه قال حسان: قد آن لكم أنْ تُرسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه، فجعل يُحركه، فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينَّهم بلساني فري الأديم.

قالت عائشة: فسمعت رسول اللَّه ﷺ يقول لحسَّان:

«**إنَّ روح القدس لا يزال يؤيّدك ما نافَحْت عن اللَّه ورسوله**».

وقالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«**هَجَاهم حسان فَشَفَى واشتَفى**».

يقال: هجا فلانًا هَجْوًا وهجاءً، أي: ذمَّه وعدَّد معايبه (المعجم الوجيز ص٦٤٥).

---

(١) والمراد: أنَّ النبي ﷺ لم يرضَ بهجو ابن رواحة ولا معاذ، وإنما أراد هجوًا قويًّا يحدث النكاية والغيظ لقريش، وأنَّ ذلك في الدين مطلوب محمود.

قال أبو العباس القرطبي أحمد بن عمر في المفهم لما أُشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٣٣٩، وما بعدها، حديث: ٢٣٩٤، ٢٣٩٥، ٢٣٩٨):

«حسان بن ثابت ﷺ ابن المنذر بن عمرو بن النجار الأنصاري يقال له: شاعر رسول اللَّه ﷺ، رُوي عن عائشة ﷺ أنها وصفت رسول اللَّه ﷺ فقالت: كان واللَّه كما قال شاعره حسان بن ثابت:

متى يَبْدُ في الدَّاجي البهيم جَبينُهُ يَلُحْ مثل مصباح الدُّجَى المتوقِّدِ
فمن كان أوْمن قد يكون كأحمدٍ نِظَامٌ لحقٍّ أو نكالٌ لمُلْحِدِ

قوله ﷺ لحسان: «**أجب عنِّي**» إنما قال النبي ﷺ ذلك لأن نَفَرًا من قريش كانوا يَهْجُون النبي ﷺ وأصحابه، فقال ﷺ: «**ما يمنع القوم الذين نصروا رسول اللَّه أنْ ينصروه بألسنتهم؟**».

فقال حسَّان: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه وقال: واللَّه ما يُسرُّني به مِقْوَلٌ[1] ما بين بصرى وصنعاء.

وقوله ﷺ: «**اللهم أيِّده بروح القدس**» أيِّده: قوِّه، والأيد: القوَّة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] أي: بقوة، وروح القدس هو جبريل عليه السلام، كما قال في الرواية الأخرى: «**اهجهم أو هاجهم، وجبريل معك**» أي: بالإلهام، والتذكير والمعونة.

قوله: «**اهْج قريشًا فإنه أشدُّ عليها من رشق بالنَّبل**» الضمير في «**إنه**» عائدٌ على الهجو الذي يدل عليه: «**اُهْج قريشًا**» وفي «**عليها**»: لقريش.

ورَشْق -بفتح الراء- وهو الرَّمي، ففيه دليل: على أنَّ الكافر لا حُرْمة لِعِرْضِهِ، وأنه يتعرَّض لنكايتهم بكل ما يؤلمهم من القول والفعل[2].

---

(١) المِقْوَلُ: اللسان، جمعه مَقَاوِلُ. (المعجم الوجيز (ص٥٢١).

(٢) وذلك؛ جزاء لهجوهم رسول اللَّه ﷺ وسبِّه والطعن في عرضه، بأبي هو وأمي.

وقوله: «قد آن لكم أن تُرسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه» هذا من حسان مدحٌ لنفسه، شبَّه نفسه بالأسد إذا غضب فحمي؛ وذلك أنه غضب لهجو قريشٍ للنبي ﷺ واحْتدَّ لذلك، واستحضر ذهنه هجو قريش فتصوَّره، وأحسَّ أنه قد أُعِينَ على ذلك ببركة دعوة النبي ﷺ، فقال تلك الكلمات مُظْهِرًا لنعمة اللَّه تعالى عليه، وأنه قد أجيب فيه دعاء النبي ﷺ، ولْيَفْخَرْ بمعونة اللَّه تعالى له على ذلك وتنزُّل هذا الافتخار في هذا الموطن منزلة افتخار الأبطال في حال القتال، فإنهم يمدحون أنفسهم، ويذكرون مآثرهم ومناقبهم في تلك الحال نظمًا ونثرًا، وذلك يدل على ثبوت الجأش، وشجاعة النفس، وقوة العقل، والصبر وإظهار كل ذلك للعدو، وإغلاظ عليهم، وإرهاب لهم، وكلُّ هذا الافتخار: يُوصِلُ إلى رضا الغفَّار، فلا عتب ولا إنكار.

وقوله: «والذي بعثك بالحق لأفرينَّهم بلساني فَرْي الأديم» أي: لأمزِّقنَّهم بالهجو، كما يُمزَّق الجلد بعد الدباغ، فإنه يُقطَّع خِفَافًا ونِعَالًا وغير ذلك.

● **«بيان شجاعة حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ وبطلان ما نُسب إليه من الجبن»:**

وتشبيه حسان نفسه بالأسد الضارب بذنبه بحضرة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم؛ وإقرار الكلِّ عليه: دليل على بطلان قول من نسب حسَّان إلى الجبن.

وقوله ﷺ: «**إنَّ روح القدس لا يزال معك ما نافحت عن اللَّه ورسوله**» أي: مدة مُنَافَحَتِك، والمنافحة: المخاصمة، والمجادلة، وأصلها: الدفع، يقال: نفحت الناقة الحالب برجلها، أي: دفعته، ونفحه بسيفه، أي: ضربه به من بعيد.

وقوله ﷺ: «**هجاهم حسَّان فشفى واشتفى**» أي: شفى الألم الذي أحدثه هجوهم، واشتفى هو في نفسه، أي: أصاب منهم بثأره شفاءً» اهـ.

وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٦/ ٣٨، وما بعدها):

«ينافح عن رسوله ﷺ: يدافع ويناضل.

وأما أمره ﷺ بهجائهم، وطلبه ذلك من أصحابه واحدًا بعد واحد، ولم يرض قول الأول والثاني حتى أمر حسان، فالمقصود منه النكاية في الكفار، وقد أمر اللَّه تعالى بالجهاد في الكفار والإغلاظ عليهم، وكان هذا الهجو أشد عليهم من رشق النَّبل، فكان مندوبًا لذلك مع ما فيه من كفِّ أذاهم، وبيان نقصهم، والانتصار بهجائهم المسلمين.

قوله: لأفرينَّهم بلساني فري الأديم، اي: لأمزِّقَنَّ أعراضهم تمزيق الجلد. فشفى المؤمنين واشتفى هو بما ناله من أعراض الكفار، ومزّقها، ونافح عن الإسلام والمسلمين» اهـ.

قلت: فهذا رسول اللَّه ﷺ يأمر بهجو أعداء اللَّه والرسول والمسلمين، ويدعو لمن هجاهم بالتوفيق والتسديد والتأييد من ذي القوة المتين، وجعل هجاءهم نصرة للَّه والرسول باللسان، كما ينصر المسلمون دين اللَّه ورسوله بالسيف والنَّبل والسِّنان، ثم بيَّن أنَّ الهجاء أشد على أعداء اللَّه من السيوف ووقع النبال؛ فظهر أنه من الانتصار لشرع اللَّه والذبِّ عن رسول اللَّه ﷺ وسُنَّته أن يُهْجَى أعداء اللَّه، وأن يحاربوا بالهجو والحجة والبيان كما يحاربوا بالسيف والسِّنان؛ ويدل على ذلك إقرار النبي ﷺ لحسان رضي الله عنه وهو يُثني على نفسه، ومدح المرء لنفسه لا يجوز في ديننا، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢] إلا في موطن الحرب، كما أقرَّ النبي ﷺ أبا دُجانة رضي الله عنه لما مشى مشية الخُيلاء في الحرب، وها هو ﷺ يُقرُّ حسان هنا، إشارة بتنزيل الهجو منزلة الرشق بالنَّبل في الحرب.

ثم بيَّن ﷺ أنَّ هذا الهجو بالكلام واللِّسان سبب لتأييد روح القدس للهاجي، وأنَّ هذا التأييد مستمر ما دام النفح والدفاع عن اللَّه ورسوله ﷺ مستمرًّا.

وهذا الحكم منه ﷺ معلوم العلة ومنصوص عليها فيه؛ إذْ قال: «**ما يمنع القوم الذين نصروا رسول اللَّه أنْ ينصروه بألسنتهم**»، وقال: «**أجب عني، اللهم أيِّده بروح القدس**» وأجب عني: أي: دافع وناضل عنِّي وانصرني، وتظهر العلة صريحة أيضًا في قوله: «**إنَّ روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن اللَّه ورسوله**».

وعلى ضوئه يقال: فكل من نافح عن اللَّه ورسوله، أي: دافع وذبَّ وناضل بالكلمة لنصرة دين اللَّه، ونصرة الكتاب والسنة؛ وإقامة لشرع اللَّه، فهو مؤيد بإذن اللَّه بتأييد خاص من اللَّه -جل وعلا-؛ إذا أخلص النية والقصد للَّه تعالى وحده.

وعليه، فيقال: العبرة هنا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولا يقتصر الدفاع والمنافحة عن رسول اللَّه ﷺ وعن دين اللَّه ضد الكفار، بل وضد أهل البدع والأهواء؛ بل يكون الدفاع والمنافحة ضد هؤلاء أعظم وأقوى؛ لأن الكفار معلومو العداوة والكراهة للَّه وللرسول وللمسلمين ولدين اللَّه، أما أهل البدع من المسلمين هم في النهاية مسلمون، فتكون الخطورة منهم أشد وأعظم وأخطر، ومن ثمَّ كانت المنافحة عن اللَّه ورسوله وإظهار الدين الحق تجاه أهل البدع والأهواء، أهمّ وألحّ في الطلب لمصلحة الإسلام والمسلمين، وكلما زادت خطورة أهل الأهواء كلما تعيَّن على أهل العلم والدعاة إلى اللَّه على بصيرة من طلبة العلم المُتميِّزين، الدفاع والمنافحة والمناضلة.

فإذا نظر البصير إلى خطورة جماعة ما، أو فرقة ما، أيقن بوجوب المنافحة عن دين اللَّه والذب عن رسول اللَّه ﷺ وسُنته، أيًّا كانت هذه الجماعة، ثم أنْزِلْ هذه المعاني على الحلف الصهيوأمريكخواني، وتحديدًا على جماعة الإخوان، التي تعتبر بمثابة اليد الطولى لبقية الحلف: الصهيوأمريكي، تعلم أنه قد تعيَّن النضال والدفاع والمنافحة؛ حتى يفرينَّهم المنافح بلسانه فري

الأديم ولا كرامة؛ حتى يُشفى ويُشفي، ألم يقُلْ رسول اللَّه ﷺ: «**أجب عني**»؛ فإنَّ إقامة البدع إماتة لسنن رسول اللَّه ﷺ، والردّ على أهل البدع والأهواء إجابة عن رسول اللَّه ﷺ، ويؤكد ذلك الإجماعات المنقولة بوجوب الردِّ على أهل الأهواء وبيان حالهم؛ نُصرة وإجابة عن اللَّه ورسوله، وإقامة لشرع اللَّه.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة كما في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٣١):

«ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة؛ فإنَّ بيان حالهم، وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق والمسلمين» اهـ.

وقال أبو العباس القرطبي في المُفهم (٦/ ٦٤):

«وهذه أمور ضرورية في الدين معمول بها، مجمع من السلف الصالح عليها» اهـ.

وقال النووي في شرح مسلم (١/ ١٠٧):

«بل واجب بالاتفاق؛ للضرورة الداعية لصيانة الشريعة المكرَّمة، وليس من الغيبة المحرَّمة، بل من النصيحة للَّه ورسوله ﷺ والمسلمين، ولم يزل فضلاء الأمة وأخيارهم وأهل الورع منهم يفعلون ذلك» اهـ. فهذه إجماعات لبيان وجوب الرد على المبتدعة غير المخرِّبين في الأرض بالخوف والذعر وإسالة الدماء، وإشاعة الفوضى والخيانة العظمى، فما ظنك بمن جمع ذلك إلى بدعته؟!

لقد أساء الإخوان المسلمون إلى دين اللَّه، وإلى الدعوة إلى اللَّه، إساءة ممتدة التأثير لعشرات السنين، إلا أن يشاء اللَّه غير ذلك؛ فلقد رسم الإخوان بأفعالهم في أعين العالمين صورة قد ترسَّخت في قلوبهم، وهي: ربط الإرهاب باللحية والنقاب، وأنَّ الإسلام يساوي الإرهاب والدم؛ فتعيَّن البيان والتبيين، حتى يميز الناس الخبيث من الطيب، وحتى يعلم العالَمينَ أن

المسلمين ليسوا سواء، وأنَّ الأصل في الإسلام الحنيفية السمحة، والسلام والمحبة والمؤاخاة والوُدُّ وحُسن الخلق وحسن الجوار، والإحسان إلى المسلم والكافر والقريب والبعيد، ورحمة الصغير وتوقير الكبير، والمسح على رأس اليتيم، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحريم وتجريم قتل النفس بغير حق، وأنَّ الذي يقتل النصراني أو يؤذيه لا يشمُّ رائحة الجنة، قد غضب اللَّه عليه ورسوله، وأن الإسلام يسعى إلى الإصلاح بين الناس، ويحارب الفساد والإفساد في الأرض بعد إصلاحها، وأنه من أفسد في الأرض بقتل نفس واحدة مسلمة كانت أو ذمِّية أو معاهدة فكأنما قتل الناس جميعًا، وأنه يحارب الخداع والخيانة، ويدعو إلى الأمن والأمان والسكينة والطمأنينة، وأنه يُجَرِّم العنف والشدة والإرهاب، ويسعى إلى السلام العام وحسن العمل والتطور والنماء والتقدُّم.

فهذه جملة من تعاليم الإسلام العظيم، قد هدمها الإخوان المسلمون هدمًا، ونقضوا عراها عروة عروة نقضًا، فحُقَّ على كل مسلم أنْ يُبغض كلَّ من قام بذلك، والبغضُ أشدُّ الكره؛ لأنَّ الذي يُروِّع الآمنين ويفزِّعهم فزَّعه اللَّه يوم القيامة بكروب، الكُربة يومها بكروب الدنيا كلها، لأنه عدو للَّه والمسلمين والناس أجمعين.

لقد أبدع الإخوان المسلمون بهذه الأعمال الإجرامية في الصدِّ عن سبيل اللَّه، والدعوة إلى الأديان الأخرى، عليهم من اللَّه ما يستحقون بعَدْلِه لا بفضله؛ فإن الحب في اللَّه والبغض في اللَّه أوثق عرى الإيمان، وبه تعمَّر الأوطان، وتقام أصول الديانة للرحمن على مر الزمان.

* * *

وَلَأُظْهِرَنَّ عُواركم على منارات الهُدى

يا ناقضو عهد الرسول وذمته ووصيته
يا قاطعو الرحم الشريف وخائنو البلد الأمين
فلأهجونَّكم بكتابتي وبخطبتي
ولأحقرنَّكم بعيون جلِّ المسلمين
ولأفرينَّكم فري الأديم بكلمتي
ولأنحرنَّ رموزكم بلا سكين
ولأذبحن قطبكم ولأهلكن زيفه
ولأفضحنَّ رؤوسكم بما يدين
ولأكشفن لئامكم حَسَنَ القبيح وفرخه
ولأُعلنن بمنبري على رؤوس العالمين
ولأظهرن عُواركم على منارات الهُدى
ولأهدمنَّ أصنام المعابد والنُّصُب المُشين
ولأكسرنَّ جُبوتكم ولأحرقنَّ عروشكم
ولأقسمن ظهوركم بمحبرة السلف المتين
ولأضربنَّ سهام أقلامي وأوراقي
ولَأُسْمِعَنَّ همس القروح والأنين
ولأصرخن محذرًا ومنذرًا ومخبرًا
ولأرصدن وأرشقن خداع الخادعين

ولأفسدن سبيلكم ولأرسمنَّ طريقكم
ولأُرشدنَّ مُريدكم إلى سبيل المؤمنين
ولأرفعن رايات الرواية والدراية
ولأنصرن سبيلها ولأهدين السالكين
ولأدعون مناضلًا ومدافعًا ومنافحًا
ولأسْكُننَّ ما استطعت ثغور المسلمين
ولأقصفنَّكم بألسنة كمشرط الجرّاح
شداد حداد على القوم الفاسقين
ولأقذفن مُهَجَ القلوب بالمداد
ولأوقذن منَّا الساذجين الغافلين
لأُجلِّيَن خفائكم وأبينَنَّ ضلالكم
ولأُحبطنَّ ما استطعت مكر الماكرين
ولأشحذن عليكمو جمع العباد والبلاد
ولأُفهمن بأمركم زهر الشباب والبنين
فيستفيق كبيرُنا وصغيرُنا ومريضُنا
من داء حبكم الخئون وسيلُ الشاردين
أرهبتموا ذات الخدور والعجوز والقعيد
ووأدتم الطفل الرضيع والجنين باسم الدين
فاغتلتموا يُسر الديانة والسلامة والأمانة
وجعلتمو سفك الدماء نهج المرسلين

فصددتموا عن الهداية والرشاد
وفتنتمُ البلاد والعباد الآمنين
فعليكموا من الإله القاهر المتغلِّب
ما يَزْجُرُ اللئيم وابن الزائغين
فلقد تعبَّدَنا الربُّ الحكيم ببغضكم
مُفَصِّلًا آياته ولتستبين سبيل المجرمين
فهجوتكم تعبُّدًا ولست بشاعر بل ناكر
سُبل الغواية والضلالة كلها ونهج الخاطئين
فيا مفسدو البلد الأمين تعقَّلوا أم مثلكم
لا يحيى إلا على خراب العالمين؟!
قد فقتموا فُجْرَ التتار وشرَّهم وزدتموا
قُبح الخيانة والعمالة وبيع بلاد الطيِّبين
ما للسياسة تحسنوا ولا للديانة تفهموا
وجعلتم الدمار صلاح المسلمين
وأسأتم الظنَّ بربكم وشريتم الحكم بدينكم
فخذلكم العزيز بجرمكم وهو أحكمُ الحاكمين

قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

حفظ اللَّه مصر وأهلها ونيلها وجيشها وشرطتها وحكومتها وشأنها كُلّه، من مكر الماكرين، وخيانة الخائنين، وحقد الحاقدين، وإجرام المجرمين، وإرهاب الإرهابيين، وأمَّن حرثها ونسلها، وبرَّها وبحرها وسهلها وجبلها وجوَّها، وعمَّها بالأمن والطمأنينة والأمان، وتقبّل قتلاها من رجال الشرطة والجيش عنده بإذنه شهداء، اللهم آمين، ونسأل اللَّه جل وعلا أنْ يرزق قومنا الطيبين فرقانًا يميزون به بين لحًى تقطر شجنًا، على حال العباد والبلاد حبًّا وحَزَنًا، ولحًى تقطر إرهابًا وحقدًا ودماءً، فرقانًا يفرِّقون به بين صاحب لحية مجرم تكفيري خارجي إرهابي، وسُنِّي غير حزبي بل سلفي تقي، على مثل ما كان عليه النبي، والصحب الكرام الأبي، لكل إفساد في الأرض، الدموي منه وغير الدموي، فرقانًا يُبْصرون به النقاب الزائف من النقاب العفيف النقي؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بيِّنة، واللَّه من وراء القصد وهو يهدي السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

وكتبه حَدِبًا على مصر وأهلها
أبو عبد الرحمن
عيد بن أبي السعود الكيال

وكان الانتهاء منه ليلة الأربعاء، الثامن والعشرين من ربيع الأول لسنة (١٤٣٥هـ)، الموافق: التاسع والعشرون من يناير لسنة (٢٠١٤/ م)، عزبة الهجانة، مدينة نصر، القاهرة، مصر، مهبط الأنبياء والمرسلين والسلف الصالحين

* * *

فهرس الكتاب

المقدمة ٣

- خِطَّة البحث، وقد قام هذا البحث على ثلاث لَبِنَاتٍ وخاتمة ... ٧

اللَّبِنَةُ الأولى: «مصر الوطن المبارك المصون في الكتاب والسُّنة وعلى أَلْسِنة السلف الكرام» ٨

- **أولًا**: ذِكرُ مصر في القرآن في أكثر من ثلاثين موضعًا ٨
- بيانُ بركة مصر بتشريف الأنبياء لها بالسجود على أرضها واتخاذها مسجدًا، وسكناهم لمصر آمنين ٩
- لطيفة ١٣
- فائدة ١٤
- **ثانيًا**: ذكر مصر في السُّنَّة ووصيَّة النَّبِيِّ ﷺ بأهلها ١٦
- تجلِّي الرب -جل وعلا- على جبل الطور بمصر المباركة ١٩
- نهرُك يا مصر من الجنة ٢١
- وعليه فحبُّ مصر دين يدان به ٢٤
- حَلَّ بمصر بركة ثلاثمائة وثلاثة وخمسين صحابيًّا ٢٤
- **ثالثًا**: ذكر بعض الآثار الموقوفة في فضائل مصر فردوس الدنيا ٢٧
- مصر كنانة اللَّه ٣١
- مصر قاهرة التَّتَار وكفى به سؤددًا وفخارًا. ٣٣
- كيف تُفعَّل بركةُ مصر؟ ٣٧
- مصر وطن ودار إسلامي رغم أنف الخوارج التكفيريين المارقين ٤٠

اللَّبنة الثانية: طاغوتا الجماعات وجبتاهما، والحِلْفُ الصهيوأمريكخواني الخئون ٤١

- أولًا: بيان حقيقة العبودية وتحقيق التوحيد ٤١
- ثانيًا: طاغوتا الجماعات وجبتاهما ٤٦
- **ثالثًا**: الحلفُ الصهيوأمريكخواني الخئون ٥١
- **رابعًا**: وشهد شاهد من أهلها ٥٢
- علاقة الإخوان بالمذهب الباطني ٥٣
- الإخوان والحشاشون ٥٥
- وشهد شاهد من قادة وأهم أهلها ٥٩
- شبهة والردُّ عليها ٦٨
- **خاتمة اللَّبِنَة**: الإخوان المسلمون والخيانة العظمى ٧٠

اللَّبنة الثالثة

مشروعية محبُّة الوطن وضوابط ذلك ٧١

- **أولًا**: في معنى الوطن ٧١
- **ثانيًا**: الاستدلال على مشروعية حبِّ الوطن من الكتاب والسنة الصحيحة ٧١
- بيان اشتياق النبي ﷺ إلى وطنه ٧٣
- **ثالثًا**: حنين الصحابة رضي الله عنهم إلى وطنهم ٧٥
- لطيفة ٧٨
- **رابعًا**: وجوب هجران الأرض التي يُعمل فيها بالمعاصي عند القدرة ٧٩
- **خامسًا**: بيان أنَّ الأنبياء والمرسلين قد ابتُلوا بالإخراج من أوطانهم ٨١
- **سادسًا**: بيان أنَّ البعد عن الوطن قطعة من العذاب ٨٢

• **سابعًا**: ذكر حديث ضعيف في المسألة وبيان من قال بصحة معناه وتوجيه قوله ٨٤
• **ثامنًا**: من قدَّم حبَّ الوطن على دينه فقد باء بالحسرة والخسران ٨٦
• **تاسعًا**: بيان لماذا أنكر بعض العلماء المعاصرين حب الوطن وتوجيه قولهم ٩١
• وطن المسلم هو ما يستقيم به دينه ٩٢
• استنباط قوي للشيخ ابن برجس رَحِمَهُ اللَّهُ ٩٤
• خاتمة اللبنة ٩٦

الخاتمة

ولأفرِيَنَّهُمْ بمقالتي فَرْيَ الأدِيمِ بلا سِكِّين ٩٩

• «بيان شجاعة حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ وبطلان ما نُسب إليه من الجبن» ١٠١
• ولَأُظْهِرَنَّ عُواركم على منارات الهُدى ١٠٦
فهرس الكتاب ١١٠

* * *